مراجعات

ملحق شهري تصدره وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بالتعاون مع «الرؤية»

رمضان 1439 هـ – مايو 2018م

الصفحة الأولى...

هلال الحجري

من الأطروحات التي أنجزها العمانيون في الخارج رسالة دكتوراه بعنوان «النفط وسياسات الاقتصاد الكلي، والأداء في عُمان»، قدمها الدكتور صالح بن سعيد مسن الكثيري لجامعة لافبرا في بريطانيا سنة ٢٠١٦.

يذكر الباحث في ملخص دراسته أنَّ أطروحته تناقش العلاقة بين عائدات النفط وسياسات الاقتصاد الكلي في عمان. وقد قسمها إلى ثمانية فصول؛ حيث شملت الفصول الثلاثة الأولى مقدمة عامة حول الاقتصاد العماني وأهمية الدراسة، وأهدافها، والدراسات السابقة المتعلقة بها. وتناول الفصل الرابع العلاقة الديناميكية بين عائدات النفط، والإنفاق الحكومي، والأنشطة الاقتصادية. وتشير النتائج إلى أنَّ لإيرادات النفط تأثيرا فوريا وكبيرا على الناتج المحلي الإجمالي للدولة والمصروفات الحكومية. كما أن للإنفاق الحكومي تأثيرا كبيرا على الناتج المحلي الإجمالي.

ويدرس الفصل الخامس صحة كل من قانون فاغنر وفرضية الدخل المطلق التي اقترحها الاقتصادي الإنجليزي جون مايناردكينز (John Maynard Keynes) فيما يتعلق بالعلاقة بين الإنفاق الحكومي والأداء الاقتصادي. ويستخدم الفصل الإنفاق الحكومي المَركّب والمُجّزأ كليهما، بحيث تنقسم البيانات إلى استثمارات متكررة ورأسمالية. ويؤكد الباحث أنّ النتائج أظهرت أن هناك علاقة طويلة الأمد بين الإنفاق الحكومي والناتج المحلي الإجمالي للفترة التي غطتها الدراسة، كما أن تحليل السببية يشير إلى أنَّ الاستثمار العام يسبب النمو الاقتصادي، ولكن النفقات المتكررة ليس لها أهمية تذكر.

أما الفصل السادس فقد درس أثر الإنفاق الحكومي على الأداء الاقتصادي، حيث حلل الباحث الإنفاق الحكومي في الصحة، والتعليم، والنفقات العسكرية. ويؤكد أن النتائج تثبت أن الإنفاق الحكومي في هذه المجالات، ومع وجود مؤشر للانفتاح، له علاقة طويلة الأمد مع الناتج المحلي الإجمالي، وأن الإنفاق الطويل المدى في مجالي الصحة والتربية له مؤشرات إيجابية، بعكس الإنفاق العسكري.

وحلل الفصل السابع العلاقة بين الإنفاق الحكومي وعوائد النفط في عمان. وقد استخدم الباحث، في تحليله، الإنفاقَ الحكومي المَجَزّأ في مجالات الصحة، والتعليم، والعسكرية، لرؤية استجابة كل منها إلى التغيرات التي تحصل في عائدات النفط. ويقول إن النتائج أظهرت أنه على الرغم من أن جميع هذه المجالات استجابت إيجابياً للطفرة الحقيقية في عائدات النفط، فإن المجال العسكري سجل أعلى استجابة ثابتة في هذه العلاقة.

وبحث الفصل الثامن العلاقة بين الحساب الجاري والعجز المالي في عمان. وأظهرت النتائج، حسب قول الباحث، أنَّ ثمة علاقة مطّردة بين الحساب الجاري للدولة والعجز المالي.

hilalalhajri@hotmail.com

- «فاتنة نبيل»
- فرانشيسكا ماريا كورراو، ولوشانو فيولانتي
- «عزالدين عناية»
- جيوسيبي لاراس
- «التقييم الاستراتيجي لإسرائيل ٢٠١٧ – ٢٠١٨»
- عنات كورتس، شلومو بروم
- «السلب والنهب والضرائب»
- رودولف كيلير ولوري سارتي
- «العصا الغليظة»
- لإليوت كوهين
- «المرأة قوية لتغيير مسار العالم للكاتبة الهندية »
- ج. ديفيكا
- «يوتقة الإسلام»
- غلين وارن بوفرسوك
- «عصر المسؤولية»
- ليوشا منّك
- «كتائب العقاب في الحرب الوطنية العظمى»
- لفلاديمير داينيس
- «سر الكيبوتس»
- ران أبرامتزكي

إصدارات عالمية جديدة

من الصفحة 20 إلى 23

«الإسلام ليس إرهابا»
لفرانشيسكا ماريا ولوشانو فيولانتي

فاتنة نبيل *

كتاب «الإسلام ليس إرهابا»، الذي يقع في أربعة عشر فصلا، مُستعرضا سردًا لتاريخ الإسلام والعوامل المختلفة التي تأثَّر بها من وجهه نظر عدة كُتَّاب متخصصين وباحثين في هذا الموضوع. فمن وجهة نظر المؤلفة كورراو، فإن العلاقات التي يجب تطويرها تحتاج إلى التزام من كلا الجانبين «الشرق والغرب»، وهناك حاجة لمعرفة متبادلة لتعزيز الحوار؛ لأنه في حال واصلنا الحديث عن الإسلام فقط من حيث الإرهاب فسوف نتعب للعثور على محاورين. وفي الوقت نفسه، إذا سادت لدينا أجواء عدم الثقة، فإن التواصل في الغرب سيُصبح صعباً بشكل متزايد لوقف انحراف الفرائس الصغيرة المهمشة للشباب من «المحرِّضين السيئين»، الذين يقومون بالدعاية للإرهاب للشباب «الجنة مقابل التضحية بالحياة»، ويستند الاقتراح الحاقد والمتكرِّر إلى عرض للصور التي تظهر النتائج المأساوية الناجمة عن الحروب التي يشنها الغرب في الشرق الأوسط.

يجب أن نتذكر أن الوضع أكثر تعقيدًا، لأن العديد من المسلمين يعيشون في الغرب ويشعرون بأنهم جزء من مجتمعنا؛ لذا يجب تأسيس مناخ من المعرفة والثقة بين كلا الجانبين، وفقط مع الجهود المستمرة من الناس ذوي النوايا الحسنة سيكون من الممكن خلق الحوار والاحترام المتبادل. هذا هو السبب الذي دفعني لكتابة «الإسلام ليس إرهابا» مع لوتشيانو فيولانتي؛ فقد دعوت سبعة مثقفين إيطاليين مختصين بالعالم العربي وخمسة مفكرين عرب، وتركيا واحدًا، وصوماليًا، لإبراز جوانب مختلفة من الثقافة الإسلامية: من السياسة إلى الاقتصاد، من الحق إلى الفلسفة ومن تاريخ النساء إلى التصوف؛ للحصول على معلومات علمية جيدة بلغة بسيطة لمن يريد الاقتراب من الثقافة الإسلامية، وفضح الكثير من التحيزات الخادعة. واليوم، دعم الحوار هو أفضل وسيلة للدفاع عن حقوق الإنسان وصونها. وهنا أستذكر ما كتبه عالم الاجتماع التركي مصطفى شناب عن كثرة المبادرات من مختلف الطوائف الدينية لصالح حوار الأديان، كما تضاعف لدينا لثلاث مرات عدد الطلاب الذين يريدون التعرف على العالم العربي.

تستهلُّ الكاتبة في مقدمتها الحديث عن واقع اليوم عن العالم العربي، وبالأخص عن العالم الإسلامي الذي ليس بالأمر السهل؛ فوسائل الإعلام الغربية تعطي معلومات مؤكدة عن احتمال وقوع هجمات إرهابية دون ترك أي مساحة للتفكير أو التأمل.

لدينا أمام أعيننا الأعمال الإجرامية المأساوية للمجموعات المتطرفة تُبررها قراءة ضالة للإسلام. لسوء الحظ، وسائل الإعلام لا تساعد على التمييز بين العقيدة الصحيحة والاعتدال الذي يدعيه غالبية المسلمين، فنجد تخمينات السياسيين، والاستخدام الشرير للمتلاعبين بالإسلام هم من يُسهمون في تدمير الشرق الأوسط وشمال إفريقيا. من المعلومات المتوفرة حاليًا يحصل المرء على الانطباع بأن العلاقة بين الإسلام والإرهاب هي علاقة مباشرة، ومن يرغب حقا في فهم ما يحدث وإيجاد الحلول المناسبة من بين كل ما يكتب وينشر، يجب عليه سؤال الاستشاريين المتخصصين، والذين هم قلة ومغيبون في إيطاليا وإجاباتهم غالبا جاهزة ومختصرة.

إنَّ التنوع الكبير في اللغة السياسية يُظهر بشكل معقول أن الإسلام شديد الوضوح، وأنه ليس إرهابيا على الإطلاق، فكما كتب المثقف التونسي محمد شريف في كتاب «الإسلام والحرية» (١٩٩٩): «إن جميع الأديان التوحيدية عرفت حركات متشددة وجماعات إرهابية».

لنُعطي تمهيدا عن كينونة الإسلام ومبادئه: نذكر أن القرآن يتكون من ١١٤ سورة (فصلاً) تبدأ بالدعاء «باسم الله الرحمن الرحيم». وكما يذكر المؤرخ التونسي الكبير محمد الطالبي، المسلم الصالح يجب أن يكون نموذجا لرأفة الله ورحمته، ويجب أن نستمر بهذه الطريقة مع آلاف من الأمثلة الأخرى. وهنا، يجدر التذكير بأنه في القرآن هناك حديث عن السلام أكثر مما هو عن الحرب، وحقوق أكثر من محظورات. إن التعددية الدينية مضمونة. يجب التذكير بأنه ولأكثر من ألف قرن عاش المسيحيون واليهود في ظل الخلافة؛ أولا: في دمشق، ثم في بغداد، وبعدها تحت حكم السلاطين العثمانيين. لا ننسى أنه بعد الطرد من إسبانيا، في وقت إعادة الاستيلاء، لجأ اليهود إلى شمال إفريقيا، لا سيما في تونس، والمغرب، ومصر، وأيضًا في إسطنبول؛ حيث تمَّ استقبالهم واندماجهم بشكل جيد.

اليوم تدهورت الأوضاع نتيجة عدم الاستقرار السياسي في الشرق الأوسط بعد التدخلات العسكرية الأجنبية والدكتاتوريات التي لعبت على تقسيم مختلف الطوائف الدينية (C.A Nallino رئيس معهد الشرق الفصل الثامن). حتى لو كانت الصور النمطية صعبة الموت، فمن الضروري الاستمرار في تقديم معلومات صحيحة حتى لا ينتهي الأمر في دوامة جديدة من معاداة السامية؛ لأن العرب هم ساميون. فمن الصعب على من يعرف تاريخ الحضارة الإسلامية، وروائع اللغة العربية، والدين العظيم الذي قدمته للبشرية أن ينظر بعين أخرى لورثة هذه الحضارة.

وفي فصل الإصلاحات والثقافة في الإسلام المعاصر، توضِّح الكاتبة ما الذي نحتاجه لفهم الإسلام اليوم؛ على سبيل المثال: معرفة كيف تطور مع مرور الوقت وفي مختلف المناطق التي انتشر فيها. فلطالما استوعب الإسلام عادات وتقاليد الأماكن المختلفة. فعلى سبيل المثال: رياح التجديد كانت تستلهم الشباب في الشمال المغربي منذ بداية القرن الحادي والعشرين، والتي لها جذور بعيدة. أولا احتلال نابليون لمصر عام ١٧٩٨، وبعدها احتلال فرنسا للجزائر عام ١٨٣٠، أنتجت مشاعر من السخط وكذلك الحاجة للتحديث. فالسلطان العثماني، وبعد الهزائم التي مَني بها، طالب بإنشاء مدرسة عسكرية للحصول على جيش حديث أكثر ملاءمة للدفاع عن حدود الإمبراطورية. في مصر وعلى يد المندوب العثماني محمد علي -الذي تمكن من تحرير مصر عام ١٨٠٥- آخذا بعين الاعتبار عمليه التحديث بإرسال بعثات دراسية إلى باريس لتعلم الوسائل الحديثه التي ساعدت في نجاح الاستعمار.

وفيما يتعلق بالإسلام والاقتصاد، هنا تكتب إيرسيليا فرانشيسكا تحت فصل «الإسلام والاقتصاد» الدعوات بإنشاء مدارس لتعليم اللغات لتأهيل مترجمين لتسهيل التبادل التجاري؛ لأن الاقتصاد يحتل المكان الأعظم في نقطة الالتقاء بين الشرق والغرب؛ مما أسهم في تسريع التطور وبناء سكك الحديد وإنشاء مشروع قناة السويس.

وتستعرض المؤلفة كورراو مراحل الإصلاح الاجتماعي: أول مصلح ديني كان جمال الدين الأفغاني ١٨٣٨-١٨٩٧، كان يحفز المفكرين للثورة ضد السلطان؛ معه ومن بعده محمد عبده ١٨٤٩-١٩٠٥، ورشيد رضا ١٨٦٥-١٩٣٥ كانوا ملتزمين بتجديد روح العقيدة الخالصة.

إن طرح هؤلاء الإصلاحيين لمدى مطابقة الإسلام مع حداثة الغرب، أثار حركة من الهياج الثقافي في مصر، وكانت تُسمع أصداؤه في بيروت ودمشق؛ حيث كانت المدارس الدينية المسيحية تدرس اللغات والمواد العلمية الغربية.

وفي العام ١٩٠٦، انتشرَ في مصر أولى الجرائد السياسية، وبعد عام تم ترخيص إنشاء أحزاب سياسية. أول حزب وطني كان بقيادة مصطفى كامل ١٨٧٤-١٩٠٨ الذي كان محفزا على نمو الجدال السياسي؛ مما عزز من نشوء تيارات فكرية مختلفة. قراءة الكتب الكلاسيكية التي تبحث بالتحرر وعلم الاجتماع أدت لولادة الفكر العربي القومي، العلاقة بين المفكرين والسياسيين أصحاب النفوذ أسهمت في تطوير حركة قامت بإسقاط الامبراطورية العثمانية أولا، وولادة أقطار قومية بعدها بعد نضال طويل للتحرر من الاحتلال.

وفيما يتعلق بالنساء ودورهن في الحياة الاجتماعية، كتبت ريناتا بيبيشللي إنه تقريبا في الفترة نفسها ظهر ما يسمى بالحركات النسائية، وظهرت أصوات نسائية تتحدث في الأماكن العامة، واضعة جدالا عن عصور الاستبداد في القرون السابقة. من خلال الشعر، والرواية ومقالات في الجرائد؛ مثل: المصرية ملاك حفني ناصيف ١٨٨٦-١٩١٨ التي كانت تكتب تحت الاسم المستعار باحثة البادية، وهدى شعراوي ١٨٧٩-١٩٤٧، والتونسية بشرى بن مراد ١٩١٣-١٩٩٣، كنَّ يناقشن قوانين اللباس، والتعليم، والزواج، ودخول عالم العمل وحق الانتخاب. أشهر منظمة نسائية هي الاتحاد النسائي المصري برئاسة هدى شعراوي والذي تم تأسيسه بتاريخ ١٦ مارس ١٩٢٣ في الذكرى الرابعة لوفاة حميدة خليل خلال مظاهرة ضد الاحتلال البريطاني.

وقد شهدت أعوام العشرينيات والأربعينيات من القرن الماضي ظهورَ عدد من الاتحادات النسائية في فلسطين، وسوريا ولبنان. وكانت تجمع نساء مسلمات ومسيحيات مما يعني أن المشكلة لم تكن الإسلام.

ورغم مشاركة المرأة في النضال ضد الاحتلال، إلا أن حكومات ما بعد الجلاء في كل من مصر، وتونس، والجزائر والمغرب، لم تتقبل ظهورهن العام وقلصت من حرياتهن. لكن حكومات جمال عبدالناصر في مصر والحبيب بورقيبه في تونس منحت لهن بعض المطالب.

وفيما بين ثمانينيات وتسعينيات القرن الماضي، بدأت بالظهور الحركات النسائية الإسلامية. وهنا، يكتب ماسسيمو بابا عن مرحلة ما بعد التحرير من الحكم الاستعماري بالنسبة للقوانين وتأثرها بالدول الاستعمارية، فقد قامت الدول العربية المختلفة بوضع دساتير على النمط الغربي، ولكن بدلاً من ذلك ظلت مرتبطة بالتقاليد الإسلامية فيما يتعلق بقانون الأحوال الشخصية، وعلى وجه الخصوص القواعد التي تسترشد بحقوق المرأة، والزواج، الطلاق والإرث. يجب الإشارة إلى الاستثناءات المهمة، وهي تركيا التي ألغت الخلافة وحظرت الحجاب، وأعطت حق التصويت للنساء مباشرة بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، وفرضت العلمانية في البلاد. كما

أعطت تونس بورقيبه حقَّ التصويت للنساء، وتمَّ منحهن الطلاق والمساواة في الحقوق في العمل وفرض الزواج الأحادي. كما دعمت العديد من الجمعيات النسائية التي ساعدت في تطوير الاقتصاد والتعليم في المناطق الريفية. ومع ذلك، هناك العديد من الدول العربية؛ حيث القواعد السلوكية للمرأة تتعرض للعنصرية. علاوة على ذلك، في العقود الأخيرة، ينتشر مفهوم جذري جدا للإسلام لا يسهل نشر حقوق المرأة.

وفي الآونة الأخيرة، عاد العديد من العلماء الإصلاحيين المسلمين لتحليل أصوات الإسلام لشرح أن التفسير الجديد يجلب التوافق المطلق مع الحداثة وحقوق الإنسان. على وجه الخصوص، أشار المؤرخ التونسي محمد طالبي الذي كتب مؤخراً أن المتخلفين عن حقوق الإنسان ليسوا من أصل عربي فقط، بل يبرز أيضاً أن جذور التراث الديني الإسلامي تتوافق مع حقوق الإنسان.

وفي فصل «الإسلام والإرهاب»، كتب عامر السبايله: منذ ١١ سبتمبر ٢٠٠١، تُهيمن القضية الإسلامية على السيناريو الدولي، ومسألة الإرهاب بشكل خاص إذا كانت ذات أصل إسلامي، لذلك هناك «قبل» و«بعد ١١» سبتمبر؛ لدرجة أنه يمكن التحدث عن عهدين مختلفين من التاريخ الذي يعمل كنقطة فاصلة.

إنَّ الهجمات على البرجيْن التوأمين أشعلت نقاشا دوليا مكثفا، حول نوع الخطر الذي يمكن أن يمثله الإسلام لسلام كل الناس والعالم، ومعظم هذه المناقشات لم تبين الطبيعة الحقيقية للمشكلة.

وفي السنوات الأخيرة، تم نشر العديد من الكتب حول هذا الموضوع، والتي يمكن تقسيمها إلى فئتين رئيسيتين: واحدة تعتبر الإسلام مصدرًا للإرهاب، والأخرى تحاول إنكار هذه الأطروحة، وتفكيك الاتهامات. في الغرب، ترتبط الصورة النمطية المهيمنة بالجهادي، وتتعلق بالفئات: الجنسية واللغة العربية، والبشرة الداكنة واللحية. مع الحرب على العراق، التي بدأت في العام ٢٠٠٣، في عهد جورج بوش، تغيرت بعض خصائص الإرهاب؛ فلم تعد منظمات تعمل في السر أو الخفاء والظل، وإنما جماعات إرهابية تعمل على الأرض تحت ضوء الشمس، وتعمل على الدعاية لنفسها مستخدمة جميع قنوات التواصل الاجتماعي.

هنا.. نعتزم التمييز بين الإسلام والإرهاب، وتبني عملية تحليلية جديدة لا تنكر وجود الراديكالية الإسلامية. إن نقل عاصمة الخلافة من مكة إلى دمشق من عام ٦٦١ الى عام ٧٥٠، على سبيل المثال، يستجيب لإستراتيجية سياسية دقيقة. فكل قرار أو عمل للخليفة يرتبط لدى الجماهير بالقيم المفروضة في الإسلام. ومع سقوط الإمبراطورية العثمانية ونهاية الحربين العالميتين، تقوم الأنظمة السياسية الجديدة بإضفاء الشرعية الذاتية على فكرة الأثر بالعودة إلى ارتباط مباشر بآل أهل بيت النبي.

لقد وضع المصري حسن حنفي تفسيره للإسلام كدين ثوري؛ فالإسلام دين عدالة يقود البشر إلى رفض الخضوع لكل سلطة ظالمة، وإلى المطالبة باسم الله بتحرير الأرض والشعوب. يجب تحويل العبادة إلى أنثروبولوجيا من أجل تمكين الرجال من جعل الإيمان والمعتقد أداة لتغيير العلاقات الاقتصادية والاجتماعية. التحديات الرئيسية للفكر الإسلامي تتحرك في ثلاثة اتجاهات؛ أولا: التقاليد التي استمرت لمدة أربعة عشر قرنا وقدمت الأفق النظري للجماهير. ثانيا: الغرب؛ تحد جديد للتقاليد، كمصدر ثان للمعرفة والعمل لمدة قرنين تقريبا، خاصة بالنسبة للنخبة؛ فقد خلق العلمانية في الفكر العلمي والحداثة في الإصلاح الديني والفكر الاجتماعي السياسي، ثالثًا: واقع العالم الإسلامي، احتياجاته وضروراته، التي تقف وراء إصلاح التقليد أو تقليد الحداثة.

شيء ما تغيَّر في العلاقة ما بين الشرق والغرب؛ فالثورات العربية أوضحت لهذه المجتمعات أنها تعبت من اتهام أعدائها الخارجيين.

وعن أسباب الأزمة الاقتصادية التي نتجت عن سوء الإدارة والفساد العربي، كان فشل الثورات العربية للعام ٢٠١١ مثيراً بالنسبة لحياة سكان الشرق الأوسط؛ وذلك رغم أن الحكومات المختلفة قد بحثت في بعض الأحيان عن طرق جديدة لإحياء الاقتصاد، إلا أنها واجهت صعوبة في الوصول إلى الأسواق الدولية وأموال البنك الدولي.

الكتاب: "الإسلام ليس إرهابا".

– المؤلفان: فرانشيسكا ماريا كورراو، ولوشانو فيولانتي.

– الناشر: آل مولينو، إيطاليا، باللغة الإيطالية، ٢٠١٨م.

– عدد الصفحات: ٢٢٨ صفحة.

*** مترجمة مقيمة في إيطاليا**

«التصوُّف اليهودي».. لجيوسيبي لاراس

عزالدين عناية *

شكل التصوف الإسلامي -رفقة التقاليد الروحية الهندية والصينية- إغراء روحيا للساعين لإرساء معنى لوجودهم من خارج أنساق الفلسفات الغربية في العقود الأخيرة؛ حيث تشهد معظم البلدان الغربية انتشارَ نوادي اليوجا والتأمل والروحانيات والرياضات الروحية، والتصوف بطُرقه المتنوعة أحد هذه المكونات التي باتت تغوي الدارسين والسالكين. ربما كانت أوضاع التوتر التي شهدها عالمنا في الحقبة الأخيرة، والتي أسهم تسييس الأديان في زيادة حدة تأجيجها، حافزاً لإعادة اكتشاف المخزون الروحي الذي توارى في غمرة الصرامة المؤسساتية والنزعة التشريعية المتشددة. ومن هذا الباب، غدا التراث الروحي في الأديان الشرقية الهندية والصينية متابَعا ومحتذى، وبالمثل التراث الروحي العائد لدين الإسلام، رغم موجة الإسلاموفوبيا الضاغطة التي يتعرض لها. وضمن هذا السياق العام، تنامى الانشغال بالتصوف اليهودي في الغرب، وليس بفعل ما يجمع الغرب المسيحي باليهود من تراث كتابي مشترك كما قد يُتصور. والجلي في الاهتمام بالتصوف اليهودي في الغرب، أن جل المنشغلين به هم من أبناء هذا التراث، أو لنقل من اليهود، في حين ما يميز الانشغال بأنواع التصوف الأخرى؛ سواء ما عاد منها للتراث الإسلامي أو الهندي والصيني، فإن المتابعين أو الدارسين أو السالكين هم من الغربيين أساسا. وربما يُعَد أهالي تلك التقاليد المشار إليها -الإسلامية والصينية والهندية- من المقصرين لو قارنا ما قدموه بما يشتغل عليه الغرب.

وفي هذا المناخ المتطلع لإعادة اكتشاف الميراث الروحي، أعدَّ الدارس الإيطالي جوسيبي لاراس (١٩٣٥-٢٠١٧) مؤلفاً رصينا، صدر بعد وفاته بعنوان «التصوف اليهودي»، عرض فيه خلاصة قيمّة حول مضامين التراث الروحي اليهودي. ولاراس هو من كبار الدارسين اليهود الإيطاليين المهتمين بالحقبة اليهودية الوسيطة، وتحديدا بموسى بن ميمون. شغل الرجل مناصب بارزة في الحاخامية اليهودية في إيطاليا، كما تولى تدريس تاريخ الفكر اليهودي في جامعة ميلانو إلى جانب نشره جملة من المؤلفات القيمة في الشأن.

والتصوف اليهودي كما يعرضه مؤلف جوسيبي لاراس، هو ذلك المسعى الهادف لخلق صلة حميمة بين اليهودي وإلهه، بما يضفي على التصوف بهذا المعنى صبغةً روحية متوهجة تتطلع إلى بلوغ الوجد. حيث يسعى الصوفي إلى نحت مقارَبة في فهم المقول المقدس يردفها عيش تجربة بما يتخطى المعاني الظاهرة. وبكلمة موجزة، الفكر الصوفي -ضمن السياق اليهودي- هو تطلعٌ لتجاوز ما هو مباشر وحسي والولوج إلى غور الأشياء، عماده تأويل الرموز التي تعمر الواقع، وذلك بقصد بلوغ الدلالات الثاوية والمقاصد الخفية للمراد الإلهي. وعلى نطاق عام يتجلى التصوف اليهودي، وفق الكتاب المذكور، ضمن خاصيتين متمايزتين: الأولى تصطبغ بصبغة الممارسة التقوية والثانية بطابع التعقل التأملي. ضمن الخاصية الأولى يلح التصوف على عنصريْ التسليم والرضى بقصد بلوغ اليقين، بوصفهما السبيل والأداة لمراودة توحد حميم لذات المتصوف مع إلهه؛ حيث تحوز الصلوات والأذكار والترانيم والأدعية، ضمن هذا السياق، مكانةً رفيعةً. في حين تصطبغ الخاصية الثانية، العقلية والتأملية، ضمن التجربة الصوفية، بالسعي إلى توضيح الصلة بين العبد وبارئه، أو بشكل عام بين الخالق والكون. وضمن الخاصية الأخيرة يندرج تواشج بين التصوف والفلسفة الدينية اليهودية إبان القرون الوسطى، حتى وإن لاح تمايز جلي للوهلة الأولى بين التصوف والبحث الفلسفي، بموجب النهج الذي تُقارَب به المسائل. فإن تكن فلسفة الدين تقوم على بناء منطقي، فإن التصوف يقوم على مغامرة حدسية ذوقية، كما لخص ذلك سفر المزامير «ذوقوا وانظرو ما أطيب الرب، طوبى للرجل المتوكل عليه» (المزمور ٨:٣٤).

وبناءً على مضامين التصوف اليهودي المتشعبة، يُمكن حصر الترقّي الروحي وتوصيفه وفق ثلاثة مستويات: مستوى لاهوتي، ومستوى نفسي، ومستوى خُلقي. حيث ينشغل المستوى الأول باحتضان الكائنات الوسيطة بين الإنسان والإله، من ملائكة وأرواح وكائنات لامرئية؛ وينشغل المستوى الثاني ببيان كيفية تطوير الإنسان مداركه الحدسية باعتماد الرياضات الروحية بقصد بلوغ مقام الشفافية؛ في حين ينشغل المستوى الخُلقي ببيان سُبل تطبيق الترقي والتعالي في الحياة، حيث يتواجد الصوفي في الكون ويتسامى عنه، ويحضر في الخَلق وهو مهاجر لهم.

تبدو الإحاطة بالإطار التاريخي ضرورية، كما أوضح جوسيبي لاراس في القسم الأول من الكتاب المعنون بـ«الفكر الصوفي»؛ لإدراك التحولات والتطورات التي مر بها الترقي الروحي اليهودي. وهو ما يمكن توزيع التصوف ضمنه إلى أربع حقب بارزة. حيث نجد الفترة التوراتية المبكرة، التي يتعذر فيها الحديث عن تصورات صوفية بينة أو صياغات صرفة. فالحياة الدينية في هذا الطور يلفها ما يمكن أن نطلق عليه «الوعي الصوفي»، حيث تشيع مسحة دينية شفافة تطغى على رؤية الذات وعلى تمثل الكون. تلي ذلك فترة قديمة، أو ما بعد توراتية: وهي فترة متميزة بكثافة التعاليم الباطنية، حيث التصورات الصوفية لا تزال في طور التشكل، حتى وإن عانقت كافة مظاهر الحياة الدينية. ثم تأتي فترة القبلاه: وهي فترة ممتدة ومتداخلة، شهدت ظهور العديد من الأعمال المرجعية التي أرست معالم البناء النظري الصوفي. والملاحظ أنه غالبا ما هيمنت على هذه الفترة مضامين عمليْن بارزيْن هما «سفر بهير» (السفر الباهر أو سفر المشرق) و«سفر الزوهار» (سفر الضياء أو سفر الإشراق)، اللذيْن مثلا حجريْ زاوية في التصوف اليهودي عامة. لنصل إلى الفترة الأخيرة وهي فترة الحاسيدية الحديثة التي شهدت بروز خط ديني، فكري وعملي، متأثر بما دب في الشتات اليهودي من تململ ويغلب عليه المنزع التقوي، وهي فترة مشوبة بالصراعات التأويلية المتضاربة داخل الفكر اليهودي.

فقد تنازعت التصوف -ضمن تطور الفكر الديني اليهودي- رؤيتان: روحية وفلسفية؛ يشرح موسى بن يعقوب كوردوفيرو أحد أعلام القبلاه الفرقَ بين القبالي، المنشغل بالأسرار، والفيلسوف، المنشغل بالمقولات العقلية قائلا: يبدو عمل الأول كمن يحمل كيسا على عاتقيه، يعي ما فيه ويدرك فحواه، في حين يبدو عمل الثاني، الفيلسوف، تتبعاً عبر التعقل والاستقراء والملاحظة لاكتشاف فحوى الكيس. والجلي كما بين كوردوفيرو أن الفيلسوف مهما أجهد نفسه هو غير قادر على الإحاطة بغور ما يعتمل في ذات المؤمن، وهو في أقصى الحالات بمقدوره بلوغ وعي أفقي، أي ذلك الذي يحكم علاقة الناس الخُلقية بعضهم ببعض، مثل «لا تقتل» أو «لا تسرق»، وليس بوسعه بلوغ ذلك الوعي العمودي الرابط بين الكائن المتناهي والكائن اللامتناهي، لانتفاء قدرات الحدس لديه. فالجلي أنه حالما يتحقق مستوى من القرب العمودي لدى السالك الروحي، يغدو متيسرا له الفناء في ذات الله، وهو شكل

من التصوف، كما يقدر لاراس، تعود جذوره إلى فيلون الإسكندري، الذي يرتئي أن التواصل مع الرب يقتضي «الخروج من الذات»، أي بلوغ مقام «الوجد»، أو بعبارة أخرى: إلغاء مدارك العقل والحواس وإطلاق فوران الوجد.

وفي هذا الإطار يذهب صاحب مؤلف «التصوف اليهودي» إلى أن القبلاه تقتضي دراسة معمقة وشاملة لمن أراد الإلمام بتطورات التصورات الصوفية؛ فدون ذلك يتعذر الإلمام الصائب بتشعبات التصوف اليهودي. فقد ظهر المسار القبالي في التراث اليهودي متأخرا نوعا ما؛ وذلك إبان الحقبة الوسيطة تقريبا، مع منتهى القرن الثاني عشر. وضمن هذا الاجتراح يُعَد نص «السفر الباهر» الإطار الرمزي الحاضن للفكر القبالي. كان ظهور «السفر الباهر» في شمال إسبانيا تحديدا في منطقة بروفانس، وهي الفترة ذاتها التي شهدت بروز العديد من الحركات اليهودية المتأثرة بالجدل الإسلامي في الأندلس. وبالتمعن في القبلاه يمكن القول إنها المرجعية الأثيرة للتصوف وللباطنية وللثيوصوفية، توسلت عبرها شتى السبل، الروحية والعقلية، بهدف بلوغ سر الألوهية ورسم السبل المؤدية لها. فالقبالي هو سالك طريق الله، من خلال اكتشاف صفاته ومظاهر تجلياته، أكان ذلك بالانتهاء عن منهياته أو بمراعاة أوامره بقصد خوض معراج عماده تنزيه الروح والتعالي بها. والجلي أن التراث القبالي الثري والمتنوع، قد تمحور على مدى قرون حول الزوهار، رافعا إياه إلى درجة القداسة جنب «الأسفار المقدسة»، ولا زال هذا المؤلف المحوري يحظى بالإجلال والتقدير إلى اليوم في الأوساط الصوفية على غرار التوراة والتلمود. فالكتاب الذي تمحور أساسا حول التأمل في مضامين التوراة، وإن لم يلتزم في ذلك منهجية واضحة وغلب عليه التطرق إلى مواضيع متداخلة في التفسير والتأويل لحل مسائل فقهية وعقدية ضمن القضايا المطروحة حينئذ، وإن نُسب الكتاب إلى الربي شمعون بار يوحاي، معلم المشنا الكبير، (المتوفى سنة ١٦٠م)، أي ضمن بيئة التأليف الفلسطينية (في منتصف القرن الثاني الميلادي)، فإن نقد بنية الكتاب ومضامينه تكشف أن التأليف وإن أعيد إلى فترة متقدمة، بحثاً عن مصدرية تأصيلية موغلة في القدم، فهو في الواقع نتاجٌ متأخرٌ يعود إلى القرن الثالث عشر، وهو ما يذهب إليه الباحث المعروف جرشوم شولام (١٨٩٧-١٩٨٢). حيث ينتقد شولام الإيغال في مصدرية الكتاب التاريخية (القرن الثاني)، وينسب صياغته إلى موسى ليون (١٢٥٠-١٣٠٥م). هذا وقد اعتمد الدارس شولام في نقده على التحليل اللغوي أساسا، مبرزا أن آرامية الزوهار تختلف أشد الاختلاف عن آرامية الترجوم والتلمود، ولا نعثر على صلة رابطة.

من جانب آخر، يحاول جوسيبي لاراس في القسم الثاني المتعلق بانتشار الفكر الصوفي التعرض إلى محطات

وقضايا مهمة في التصورات الدينية اليهودية، على غرار القول بالتناسخ وظهور الحركات المسيانية؛ إذ بموجب التأثير العميق للقبلاه على التصوف، حاول العديد من الدارسين التطرق إلى موضوع الروح، وهي من المواضيع الشائكة التي تعددت الرؤى بشأنها. حيث نجد ما يشبه الإجماع بين القباليين في القول بهجران الروح بعد الممات جسد المتوفى والحلول في جسد آخر، لتعيش تجربة ثانية. وقد عبر القائلون بذلك عن تلك الرحلة بمفردة «غلغول» التي تفيد الدوران، والتي ترجمها شموئيل بن تيبون بكلمة «التحول». غير أن كثيرا ممن انتقدوا هذا التوجه اعتبروا الأمر حادثا تحت تأثير الديانات الوثنية التي طفح بها الشرق، والتي وجدت سندا في الديانات الهندية التي تذهب إلى القول بالتناسخ. يستند القباليون في دعم قولهم بالتناسخ (غلغول) إلى ما يرد في سفر التكوين، الإصحاح ٣٨ وإلى ما يرد في سفر التثنية الإصحاح (٢٥: ٤-١٠). فإذا ما اقترف المرء خطيئة فإن روحه ملزَمة بعبور تجربة ترق نحو الطهر، بقصد استعادة النقاء الأول. وهذا الهجران والترحل للروح من هيكل جسدي إلى آخر، يمكن أن ينحط إلى الحيوان أو النبات وحتى إلى الجماد وفق المعتقد القبالي.

من جملة القضايا الدينية الأخرى المطروحة في هذا القسم، مسألة تأويل سِفر نشيد الأنشاد المنسوب للنبي سليمان (ع). فالنشيد هو نص شعري جنسي بين عاشق وعشيقته. أثار عديد التساؤلات نظرا لجرأة التوصيف الماجن المعبر عن حرقة غرامية حسية بين عشيقين، كلف أحدهما بالآخر حد الفتنة. يستهل النص بتشوق العاشقة لمضاجعة حبيبها الذي عند ثدييها يبيت، ولتتكثف المشاهد الحسية. ولكن أمام الجنسانية المفرطة لنشيد الأنشاد اقتضى الخُلق الديني تأويل مضامين النص وإعطاءه تفسيرا رمزيا يسمو بالعلاقة بين يهوه وشعبه. والملاحظ أن لغة الغرام الفاضحة التي تطبع النشيد ليست غريبة عن لغة العشق الصوفي عموما، تلك اللغة التي تعرف تجنُسنا كلما ارتقى السالك مدارج المحبة والمكابدة.

فضلا عن ذلك، من القضايا الاجتماعية المهمة المطروحة في هذا القسم حركات الخلاص مثل السباتية والحاسيدية. فقد شكلت مضامين الزوهار الرمزية حافزا قويا لجموع اليهود للتشبث بالدعوات الخلاصية. حيث حازت فكرة الخلاص المسيائي مكانة متميزة ضمن أنشطة هذه الحركات. كان سبتاي زيفي صانع ملحمة رمزية كبرى هزت الشتات اليهودي (١٦٢٥-١٦٦٧م) عُد فيها المخلص والهادي إلى جنة التوراة الموعودة؛ لكن اهتداء سبتاي زيفي إلى الإسلام والتخلي الفجئي عن ذلك المنزع المسيائي مثل انتكاسة كبرى للحركة، تركت أتباعه في متاهة حقيقية. وبفعل النفوذ الروحي القوي لسبتاي لم يجد التأويل الباطني من تفسير لتحوله سوى بوصمه بـ«القديس المذنب». لم تكن الحاسيدية (الحاسِيديم) في الواقع سوى رد فعل على السباتية، معتبرة أن الخلاص المرجو متحقق من خلال التوحد الحقيقي مع الله وليس بوساطة زعامة إعجازية يمكن أن تنحرف عن المسار القويم، كما حصل مع سبتاي زيفي. فاليهودي، وفق المنظور الحاسيدي، ليس معنيا بأحداث التاريخ أو التدخل في مسار الكون، على غرار ما فعله سبتاي زيفي، بل يتركز مفهوم الخلاص لديه في روحه لا في ملاحقة هدف طوباوي مسيحياني.

ومن هذا المنظور، شكلت الحاسيدية خلاصا مزدوَجا لليهود اجتماعيا وروحيا. وبحسب إسرائيل بن أليعازر (١٧٠٠-١٧٥٨) مؤسس الحركة، لا يتمثل جوهر الدين في معرفة التوراة، بل في الاتحاد الصوفي مع الرب، وهو ما يتيسر بلوغه بالتركيز على العبادة والتوراة. ودائما بحسب أليعازر فالرب هو حاضر في الكون ويملأ العالم وبالتالي هو قريب من اليهودي. وبحسب ما تذهب إليه الحاسيدية فإن «بعل شيم»، أو الحائز على سر الاسم الإلهي، يملك علم أسرار التتراغراما (يهوه)، الذي يمكن بواسطته اجتراح المعجزات.

حريٌّ أن نشير في ختام هذا العرض إلى أن كتاب «التصوف اليهودي»، على كثافته وعمقه، يغفل أو يتغافل عن التأثير الكبير للتراث الصوفي الإسلامي في التصوف اليهودي، المتطور في الأوساط الأندلسية، ناهيك عن محاكاة المقولات الصوفية الإسلامية.

الكتاب: «التصوف اليهودي".
المؤلف: جيوسيبي لاراس.
- الناشر: جاكا بوك (ميلانو-روما)، باللغة الإيطالية، ٢٠١٨م.
- عدد الصفحات: ١٠٦ صفحات.

* أستاذ تونسي بجامعة روما

التقييم الاستراتيجي لإسرائيل 2017 – 2018
لعنات كورتس وشلومو بروم

أميرة سامي*

في نهاية عام ٢٠١٧ ظهر عدد من التطورات المهمة في الشرق الأوسط، والتي يمكن أن يكون لها تأثير كبير على الأمن القومي. ففي سوريا أصبح المنافسون الرئيسون في الحرب الأهلية روسيا وإيران وتركيا، واشتد الصراع بين إيران والمملكة العربية السعودية وحلفائهما، كما تم طرد البؤر الاستيطانية الإقليمية للدولة الإسلامية في العراق وسوريا، في حين أن فكرة داعش لا تزال تشكل تحديًا أمنيًا واجتماعيًا في الشرق الأوسط وخارجه.

إنّ الجمود في الساحة الإسرائيلية- الفلسطينية مستمر، وبالتالي فإن إمكانية تحقيق تطوير علاقات إسرائيل مع الدول العربية السنية أمر مرفوض. وفي إسرائيل هناك نزاعات سياسية – أيديولوجية تنبع من تفسيرات مختلفة لمفهوم «الدولة اليهودية والديمقراطية» وأهميتها للأمن القومي.

كما أن هناك توازن بين القوى العظمى والديناميكيات في الشرق الأوسط وفي الساحة العالمية، ومع اقتراب نهاية العام الأول من إدارة ترامب، يصبح تأثير التبادل في الولايات المتحدة الأمريكية أكثر وضوحًا بين إدارتين مختلفتين جدًا عن بعضهما البعض حول الشرق الأوسط وعلاقات إسرائيل مع الولايات المتحدة الأمريكية، كل هذا ينعكس في الديناميكية بينهما في الشرق الأوسط وفى الساحة العالمية ونتيجة لذلك، يواجه جدول أعمال الأمن السياسي لإسرائيل حالياً تحديات خطيرة، قصيرة وطويلة الأجل.

يعرض الكتاب في الفصول العشرة مراجعة وتحليلا لهذه الموضوعات وغيرها من جوانبها المختلفة ومعانيها المتنوعة.

العناوين الواردة في كتاب «التقييم الاستراتيجي لإسرائيل ٢٠١٧ - ٢٠١٨» هي قضايا إضافية في سلسلة تقييم إسرائيل الاستراتيجي التي ينشرها معهد دراسات الأمن القومي كل عام، وتعكس القضايا الرئيسة التي تواجهها إسرائيل حاليًا والمعضلات التي ستشغلها في العام المقبل. وتشير هذه العناوين الرئيسة إلى العلاقة بين مختلف القضايا والساحات، والاستجابة التي سيتم صياغتها لأي تحد، سواء كانت سياسية أو دبلوماسية، أو عسكرية، سيكون لها تأثير وتداعيات على ساحات أخرى.

تكرس المقالات الأولى محتواها لمناقشة الساحة الإقليمية والعالمية من منظور إسرائيل والتحدي الأمني الرئيسي الذي يواجهها هو الساحة الشمالية، والتي يتم فيها تشكيل توازن جديد للسلطة، لا سيما تعزيز النفوذ الروسي في سوريا، وقبضة إيران على أراضي هذه الدولة المتضررة، والقوة النسبية لحزب الله. كما يتم تحليل الآثار المحددة لهذه التطورات في الفصل الخاص بتوازن إيران الاستراتيجي، وتطورها في الشرق الأوسط في السنوات الأخيرة. وفي فصل آخر، يتم عرض أهمية الهزيمة العسكرية للدولة الإسلامية، ويدرس الفصل التالي التغيير الذي يتشكل في علاقات القوى الدولية فيما يتعلق بالشرق الأوسط، خاصة في ميزان القوى العظمى والنفوذ بين روسيا والولايات المتحدة، ومناقشة الموقف الدولي للولايات المتحدة الأمريكية، والتركيز على التعامل مع الأزمة النووية الكورية الشمالية وآثارها على التعامل مع القضية النووية الإيرانية.

المواد التالية مكرسة لمناقشة القضايا التي تتعلق بعلاقات إسرائيل مع الولايات المتحدة الأمريكية، مع التركيز على القرب الاستراتيجي بين البلدين، خاصة في ضوء التحديات التي تواجهها على الساحة الإقليمية والدولية، ويحلل الفصل التالي إمكانية تجديد الحوار الإسرائيلي الفلسطيني والآثار الإيجابية التي قد تنجم عن علاقات إسرائيل بالدول السنية البراغماتية في الشرق الأوسط. كما يركز الفصل الآخر على معنى مفهوم «الدولة اليهودية والديمقراطية»، ويحلل الأصول الأيديولوجية والسياسية لنزاعات الأمن القومي في إسرائيل.

كذلك يعرض الكتاب مناقشة من قبل رئيس المعهد، اللواء عاموس يادلين للتحديات السياسية والأمنية الذي يراها بعد سبع سنوات من بدء الاضطرابات في الشرق الأوسط وبعد عامين من توقيع الاتفاق النووي بين القوى العظمى وإيران، وتتضح معالم الواقع الناشئ في المنطقة، بعد ما يقرب من عام من رئاسة الرئيس دونالد ترامب في الولايات المتحدة الأمريكية، وخصائص الإدارة وتأثيرها في الساحة الداخلية، وفي جميع أنحاء العالم وفي الشرق الأوسط تبدو واضحة. كل هذه العوامل تشكل البيئة الاستراتيجية الحالية لإسرائيل ومجموعة من بدائلها لسياسة تهدف إلى تعزيز مصالحها.

تناول اللواء عاموس يادلين في حديثه عناصر البيئة الإستراتيجية النقاش حول موضوعات متنوعة منها: استقرار إسرائيل والحدود الآمنة لها والولايات المتحدة في ظل إدارة ترامب ويرى أن حكومة ترامب صديقة وتتعاطف مع إسرائيل، وتتفق مع إسرائيل في معظم مكونات تقييم الوضع الاستراتيجي في الشرق الأوسط. ومع ذلك تعتبر الجهود الأمريكية لتعزيز العلاقات مع حلفائها الرئيسيين في المنطقة - السعودية ومصر وإسرائيل - إيجابية، وينظر إلى إيران على أنّها عدو كبير يهدد استقرار المنطقة.

وتحدث عاموس يادلين عن روسيا ويرى أنها الرابح الأكبر في الشرق الأوسط في العامين الماضيين وبالنظر إلى ضعف روسيا النسبي في المجال الاقتصادي، وعزلتها السياسية عن ضم شبه جزيرة القرم والحرب في أوكرانيا - فقد نجحت في ترسيخ مكانتها في الشرق الأوسط بفضل تحركاتها وتغير تدخلها العسكري في الحرب في سوريا منذ عامين، واستطاعت أن تحقق جميع أهدافها من خلال مشاركتها في سوريا، وأثبتت أن هناك أحيانًا حلًا عسكريًا - إذا عرف المرء كيف يستخدمه بشكل صحيح-، وإعادة نظام الأسد للسيطرة على معظم الأراضي السورية، وبالتالي اكتسبت روسيا قيادتها كمنافس سياسي رائد في تشكيل واستقرار الساحة السورية، في الوقت الذي دفعت فيه الولايات المتحدة الأمريكية المراسلين العسكريين والبحريين والجويين في الأراضي السورية لاستمرار سيطرتها الاستراتيجية عليها لأجيال قادمة.

وجدير بالذكر أن الرئيس أوباما قد توقع من قبل بأن روسيا على دراية جيدة في الحفاظ على العلاقات مع جميع المنافسين في الشرق الأوسط، حتى لو كان هناك تنافس مرير بينهم.

وعن الصين كقوة اقتصادية وبنية تحتية ذكر أنها دولة رائدة في النظام الاقتصادي العالمي والمؤسسات الدولية، ويوجد منافسة اقتصادية واضحة بينها وبين الولايات المتحدة الأمريكية. وأن مصلحة الصين الرئيسة في منطقة آسيا والمحيط الهادئ والشرق الأوسط قد ركزت بالدرجة الأولى على الاقتصاد والدبلوماسية، وتكتفي بالحد الأدنى من الوجود العسكري في البعثات الدولية من قوات حفظ السلام والعمليات ضد القراصنة، على غرار سياسة روسيا في الشرق الأوسط، وتقوم الصين على علاقات متوازية مع جميع عناصر السلطة ذات الصلة في المنطقة، بما في ذلك السعودية وإيران. كما تحافظ الصين على علاقاتها مع إسرائيل. وهناك عدد من العمليات التي تبشر بتغييرات في السياسة في منطقة الشرق الأوسط، فمصالح الصين في الاستثمارات والمشاريع ونطاق العمال الصينيين آخذة في التوسع.

كما تمت مناقشة إيران والقضية النووية والتحدي الإيراني في سوريا وهزيمة داعش وتشكيل شكل آخر للجهاد العالمي في العام الماضي، ودار النقاش حول إضعاف المعسكر السني المعتدل، والتحول الكبير في المملكة العربية السعودية.

أما عن الساحة الفلسطينية والتوقع لبرنامج «الصفقة النهائية» للرئيس ترامب الذي تميز العام الماضي بمواصلة الجمود السياسي في الساحة الإسرائيلية الفلسطينية، وفي الوقت نفسه حدثت تطورات في الساحة الفلسطينية الداخلية، من شأنها أن تؤدي إلى تحركات كبيرة في اتجاه استمرار فك الارتباط بين الجانبين والتصعيد، أو نحو عملية سياسية متجددة من خلال التطور لاتجاهين، التطور الأول هو رغبة رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس في نهاية ولايته، أن يترك بصمة تاريخية وتأثير على مستقبل الفلسطينيين قبل رحيله. التطور الثاني هو تغيير القيادة في حماس ونهوض القيادة المحلية، التي فشلت في إنقاذ الأزمة الاجتماعية والاقتصادية في قطاع غزة. على هذه الخلفية، تحاول الاقتراب من مصر مع الحفاظ على علاقاتها مع إيران، وهي ضرورية للجناح العسكري. والحفاظ على وقف إطلاق النار من قبل حماس في غزة واتفاق المصالحة بين فتح وحماس، والذي تم الاتفاق عليه في القاهرة في أكتوبر ٢٠١٧. لهذا يصعب تصور أن يتمكن الطرفان من التوصل إلى مصالحة كاملة تحقق «الاتفاق النهائي» بين إسرائيل والفلسطينيين وقيام إدارة ترامب بمبادرة سياسية برئاسة صهر الرئيس جاريد كوشنير والوسيط الرئيس جايسون غرينبلات لم تحقق أي شيء حتى نهاية عام ٢٠١٧. بالإضافة إلى أن الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل أدى إلى إعلان الفلسطينيين عن وقف العملية السياسية والفشل في قبول الولايات المتحدة كوسيط عادل.

كما ذكر الكاتب التحديات والمعضلات والتوصيات خلال العقد الماضي، حيث تمكنت إسرائيل من التكيف مع واقع الشرق الأوسط المتغير، وتعزيزها عسكريًا وسياسيًا، والمناورة بطريقة منعت الصراعات والحروب الصعبة. وفي نهاية عام ٢٠١٨، يبدو أن فتح فصل جديد في التغيير الإقليمي يقلل من الفرص السياسية والعسكرية التي نشأت لإسرائيل بسبب الأزمات في الساحة الإقليمية والاتفاق النووي مع إيران، ويتعين على إسرائيل معالجة العديد من القضايا الرئيسة المتعلقة بالتهديدات المتوسطة الأجل والطويلة الأجل والتي منها:

× التحدي المتمثل في الحرب ضد إيران

إن تراجع الحرب الأهلية في سوريا وبداية مرحلة جديدة يمثل التحدي الرئيس لإسرائيل في السنوات القادمة في التعامل مع بناء القوة التشغيلية والتكنولوجية لإيران ووكلائها في سوريا ولبنان.

× التحدي المتمثل في إصلاح الاتفاق النووي الإيراني واحتواء الطموحات الإيرانية للهيمنة في الشرق الأوسط

يجب أن تسعى إسرائيل إلى تفاهمات رسمية مع الولايات المتحدة، وترتكز على «اتفاقية ثنائية موازية» حول استراتيجية مشتركة ضد مجموعة التهديدات الإيرانية في الشرق الأوسط ويجب أن يكون لهذه الاستراتيجية المشتركة أهداف منها: منع إيران من الحصول على أسلحة نووية، والحد من النشاط الإيراني في المنطقة ودعمها للإرهاب.

×التحدي المتمثل في تجديد العملية السياسية و «الصفقة النهائية» بعد عام من الاستعدادات، تنوي إدارة ترامب تقديم خطتها لتحقيق السلام بين إسرائيل والفلسطينيين. ولا تزال المبادئ والمعايير وعملية صياغة الاتفاق غير واضحة، كما أن إعلان الرئيس حول القدس يعقد القضية. وقد تكون هناك رغبة

أمريكية في تعويض الفلسطينيين والعرب عن «إعلان القدس». وفي الوقت نفسه، يشكل الوضع الحالي في الساحة الفلسطينية تحديًا من حيث المصالحة الفلسطينية الداخلية ولإعادة السلطة الفلسطينية إلى قطاع غزة، فإن المشاكل الرئيسية في نظر إسرائيل - الجناح العسكري للمنظمة. وتشير التقديرات إلى أن الاتفاق لن يتم رفعه بسبب الخلافات الفلسطينية الداخلية، وبالتالي فإنه من الصحيح السماح لها بمتابعة جميع الاتفاقات السابقة بين السلطة الفلسطينية وحماس من دون اتهام إسرائيل بالفشل.

×التحدي المتمثل في تعزيز التحالف مع العالم العربي السني - تحافظ إسرائيل على تعاون غير مسبوق مع الدول العربية المجاورة من المعسكر السني البراغماتي، أدى لتداخل المصالح والتهديدات المشتركة التي تفرضها إيران والإسلام الراديكالي وتعميق التعاون مع الدول التي أبرمت إسرائيل معها معاهدة سلام، وكذلك مع دول الخليج التي لا تقيم معها علاقات دبلوماسية مفتوحة. وأن التعاون المستمر مع الدول العربية ودول الخليج والمملكة العربية السعودية يقود إلى سياسة استباقية في الوقت الذي فيه يرغب في تحمل المخاطر ويقدم لإسرائيل مجالاً آخر مثيراً للاهتمام والتحركات الاستراتيجية والتحالفات والمزيد من التحسن في وضعها الجيو استراتيجي.

× تحدي داعش ككيان إقليمي هزم في سوريا والعراق، ولكن. لم تهزم البنى التحتية للمشهد الإسلامي والدعائم في ليبيا وشبه جزيرة سيناء وأفغانستان ومرتفعات الجولان، وقد تكون هذه المناطق بمثابة هدف للمقاتلين الذين سيأتون من المناطق التي تم تطهيرها. ولا تزال الخلايا الإرهابية في العالم نشطة، وسيحاول داعش إثبات قوته من خلال الهجمات في الشرق الأوسط، ضد إسرائيل وحول العالم. وسيكون من الصواب العمل على إنهاء وجود داعش في مرتفعات الجولان الجنوبية كجزء من ترتيبات الاستقرار في سوريا، ومواصلة دعم مصر في معركتها لتدمير داعش في سيناء. بالإضافة إلى ذلك، من المهم ألا نفترض، من وجهة نظر الاستخبارات والعملية أن المنظمة لم تعد تشكل تهديدًا.

×ميزانية الدفاع ومفهوم الأمن- إن فرص المواجهة في الساحة الشمالية في عام ٢٠١٨ أعلى من أي وقت مضى وأن استعداد إسرائيل للعمل ضد البناء الكمي والنوعي لإيران وحزب الله في سوريا ولبنان، يمكن أن يتسبب في مواجهة إسرائيل مع حزب الله والقوات الإيرانية في سوريا. ويتطلب هذا الاحتمال تسريع الاستعداد لمواجهة محتملة قريبة، وفحص وتشجيع المشاريع الرئيسية التي ستكون مطلوبة في مواجهة مقبلة مع حزب الله وإيران والآثار المترتبة على زيادة الميزانية استعدادا لتصاعد التوتر الأمني.

×الحفاظ على شرعية إسرائيل في العالم وتعزيزها بالرغم من موقفها القوي نسبياً بين الحكومات، تواجه إسرائيل تحديًا كبيرًا في الشرعية في المجتمعات الكبيرة في الشرق الأوسط وأوروبا، وحتى أمريكا وهو تحد متشابك مع اتجاه مثير للقلق من تزايد اللا سامية ضد اليهود في كل مكان. إن جوهر الحملة ضد إسرائيل هو مزيج فريد من ثلاثة قوى مختلفة: الإسلام الراديكالي واليسار الليبرالي المتطرف واليمين القومي ويشتركون في هدف استراتيجي واحد يقوض حق إسرائيل في الوجود تحت ذرائع مختلفة.

× تحدي التفاهمات المحدثة مع يهود أمريكا إن استقطاب السلطة السياسية في كلا البلدين، مع ميل معظم اليهود الأمريكيين نحو أجندة ليبرالية، وتصور سياسات الحكومة الإسرائيلية على أنها قومية متطرفة، وكلها ترسم واقع مثير للقلق، يشعر فيه اليهود بصعوبة متزايدة في الدفاع عن إسرائيل ضد منتقديها، وفي فشلهم في حل التوتر بين إدراكهم لهويتهم الأخلاقية بوصفهم يهودًا ولجعل أكبر تجمعين يهوديين أقرب لبعضهما البعض ولصب محتوى جديد في العلاقة الحيوية بينهما. يجب أن يؤدي الحوار المفتوح من جهة، والقرارات القيادية من جهة أخرى، إلى تحديث اتفاقية بين دافيد بن غوريون ويعقوب بلوستاين، رئيس اللجنة اليهودية الأمريكية، التي نظمت العلاقات الوثيقة بين دولة إسرائيل ويهود الولايات المتحدة، وإقامة علاقات على أساس الشراكة القوية بينهما.

× التحدي المتمثل في تجديد التضامن والمصالحة الداخلية، واتخاذ الخطوات لتخفيف حدة التوترات الداخلية داخل إسرائيل يجب إجراء مناقشة موضوعية بشأن التوازن بين القيم اليهودية والقيم الديمقراطية، مع الاستمرار في تنفيذ الخطة لتعزيز وإدماج العرب، بهدف إرساء أساس مشترك على الساحة السياسية-الاجتماعية لاستمرار الحياة معاً في إسرائيل.

اسم الكتاب: التقييم الاستراتيجي لإسرائيل ٢٠١٧ – ٢٠١٨
المؤلف: عنات كورتس، شلومو بروم
الناشر: معهد دراسات الأمن القومي في تل أبيب
سنة النشر: يناير ٢٠١٨
اللغة: العبرية
عدد الصفحات: ١٣٥ صفحة

*** أكاديمية مصرية**

السلب والنهب والضرائب: الضراوة والمجتمع من العصر القديم إلى العصر الوسيط لرودولف كيلير ولوري سارتي

سعيد بوكرامي *

يُعد كتاب النَّهب والسلب والضرائب: الضراوة والمجتمع من العصر القديم إلى العصر الوسيط، الذي أشرف عليه الأكاديميان رودولف كيلير ولوري سارتي، أول مقاربة جادة وعميقة لإعادة قراءة تاريخ العصور الأوروبية القديمة والمتوسطة. وقد جاء نتيجة للأيام الدراسية التي أقيمت في الندوة التي عقدت في فرانكفورت في يونيو ٢٠١٢، وخصصت لدراسة تاريخ النهب والسلب، منذ سقوط روما في ٤١٠ إلى عهد النهب العنيف للفايكينغ في القرنين التاسع والعاشر. ومن بين النتائج العلمية التي أسفرت عنها الدراسات إجماعها على مقاربة مُغايرة لهذه الغارات العنيفة إذ حللتها كظاهرة اقتصادية وسياسية واجتماعية وثقافية.

لولوج عالم الكتاب لابد من العودة قليلاً إلى ما عرفته القرون الأول تاريخ أوروبا، أو ما اصطلح عليه، بالعصور المظلمة وتحديدا من القرن الخامس الميلادي إلى أواخر القرن العاشر منه. أي من بداية انهيار الإمبراطورية الرومانية الغربية إلى الحقبة التي عرفت بعصر النهضة والاستكشافات. كانت أوروبا خلال هذه الفترات تعيش انحطاطًا وفوضى وحروبا دامت عقودا طويلة. وكذلك في العصور الوسيطة المتأخرة مع بداية القرن الحادي عشر، وخلال القرن الثاني عشر. لم يتغير أي شيء، فقد انتشرت الحروب الصليبية بفظاعاتها الدامية، وانخرط الملوك الفرنسيون والإنجليز في سلسلة من الحروب المُتعاقبة نتيجة خرق اتفاقيات الهدنة والمعاهدات؛ مما طبع هذه العصور بالتوتر، وعدم الاستقرار. فبعد اجتياحات الرومان وبداية تفاقم حكمهم وانهياره، بدأ القوط الشرقيّون حملات النهب والسلب التي استمرت لعقود، ثم جاء الغزاة البرابرة والشعوب الجرمانية، فانتشرت الحروب الأهليّة إلى جانب الغزوات الخارجيّة من طرف الفايكنج في الشمال والمجريّين من الشرق والسارسيين من الجنوب. وتلا ذلك كله تمرّد الفلاحين على الاستبداد الإقطاعي والجنود العاطلين على جنرالاتهم المنهزمين. في ذروة هذا التفكك السياسي والاجتماعي والانهيار الاقتصادي ازدادت الهجرات، والمداهمات واندلعت عمليات النهب والسلب وفرضت الضرائب المجحفة في كل مكان من أوروبا. وقد تميَّز تاريخ هذه المرحلة بالضراوة والنهب والأسر وفرض الضرائب بالقوة. لم تكن هذه الممارسات ذات فائدة للباحثين لفترة طويلة نظرًا لنظرتهم السلبية لهذه العصور الدموية. زد على ذلك فإنَّ هذه المظاهر الاجتماعية العنيفة لم تستهو إلا قلة من الباحثين، وكان بعضهم في بعض الأحيان متحيزاً، مثل الدراسات، التي اهتمت بدراسة نتائج غزو الفايكنج، والمجريين أو النهب السارسي للغرب المسيحي. هذا يعني ضمنيًا الحكم على بعض المجتمعات، مثل الإسكندنافيين، وتأطيرهم داخل عاداتهم الضارية والشرسة والعنيفة، في حين لا يُمكن التفكير في الغرب المسيحي، إلا بالاعتماد على السياق التاريخي، كنسق اجتماعي لا يتشكل من الضحية أو الغازي فقط. لهذا منذ بضعة عقود بدأنا نشهد منظورًا تاريخيًا آخر، لهذه الفترة، بحيث أصبح يُنظر إلى النهب والسلب وثقافة الغزو التي سادت في تلك الآونة كظاهرة اقتصادية وسياسية واجتماعية وثقافية. ومن هنا شرع الدارسون بمعالجة قضايا متنوعة مثل أشكال تقسيم الغنائم، ونطاقات الغزو حيث يتم تصريف الثروة، وإدراج أسرى الحرب في الاقتصادات المحلية أو في دوائر تجارة الرقيق، وأهمية الغزو في تكريس السلطة أو انهيارها، أو الطريقة التي تضفي بها هذه المجتمعات الشرعية على ممارساتها الضارية والعنيفة، ومن بين هذه المقاربات الجديدة، التي تلقي ضوءا جديدا على هذه الممارسات المثيرة، دراسات الكتاب الذي نحن بصدد مراجعته، إذ نجده منذ البداية يشير فيه رودولف كيلر، منسق الكتاب، في مقدمته الغنية، أن الغزو الضاري يعد أحد السلوكات العديدة التي تختلف فيها المجتمعات القديمة اختلافاً جذرياً عن مجتمعنا المعاصر، لاسيما تلك التي تعود إلى العصر القديم. إنَّ حقيقة الاستيلاء على ممتلكات الآخرين من خلال العنف، في سياق يشبه الحرب، هي في الحقيقة مستنكرة قانونيا وأخلاقيا اليوم، في حين أنها كانت حقيقة أساسية لمُجتمعات تلك الأوقات. فقد تم قبول شرعية هذه الممارسات من قبل الجهات الفاعلة كلها تقريبًا في ذلك الحين. عكس ما روجت له بعض الكتابات المتسرعة في التأريخ والتي جعلت النهب من اختصاص -البرابرة- دون سواهم، فإن هذا الكتاب، يؤكد أن هذه الممارسات هي في صميم التقنيات العسكرية، وأيضًا في صميم الحياة السياسية، والاجتماعية والاقتصادية لجميع المجتمعات في تلك الحقب. وبناء عليه يصبح النهب ظاهرة معقدة حيث يلعب تداول السلع دوراً قوياً، ولكنها تلعب أيضاً دوراً مهماً في صناعة الشرعية لأي عمليات عنيفة ووحشية.

وانطلاقاً من هذه الاعتبارات العامة، تستخدم المقالات التسعة في الكتاب مقاربة مونوغرافية، تركز كل منها على مُجتمع محدد. في البداية يتناول بونوا روسينيول تاريخ الإمبراطورية الرومانية، التي اضطرت إلى وضع مجموعة من التدابير الدفاعية لحماية نفسها من الجيران الذين يسارعون إلى شن غارات على الممتلكات والناس. وقد اعتمدت في جزء كبير منها على حماسة السكيوريتاس أنفسهم المشاركين في عقد السلام الروماني، الذي ينص على ضرورة حماية السلطة الإمبراطورية سكان الإمبراطورية، وخاصة عن طريق شراء الأسرى المستولى عليهم خلال الغارات. ولكن الإمبراطورية نفسها كانت كياناً ناهباً هائلاً، فقد كان الجنرالات الرومانيون قادرين على نهب، وفرض الضرائب على القبائل وأسر العبيد. بل كانوا يعتبرون ذلك ضرورة سياسية، كما كانوا يمنحون جنودهم مكافآت سخية، لأنَّ الجنرالات كانوا يخشون أن يغتالوا من طرف

جنودهم. أما الباحث غيدو بيرند فانكب في بحثه على دراسة المجتمع القوطي، وعلى وجه الخصوص القوط الشرقيين الذين قاموا بمُمارسة النهب المتكرر والممتد بشكل منهجي إلى درجة أنه شكل منظومة ملفتة أطلق عليها -اقتصاد النهب- الذي يكمن وراء كل هياكل السلطة التي وضعها القوطيون.

أما الباحثة ماريليا ليكاكي فتخصص مادتها البحثية لإبراز أهمية النهب في الجيوش البيزنطية، إذ تعتبره نشاطا حربيا عمليا طبيعيا تماما، ينظر إليه على أنه واحد من المصادر الرئيسية لدفع أجور القوات العسكرية، وخاصة في فترة تميزت بضعف السلطة الإمبراطورية وبالتالي السعي من وراء ذلك إلى خلق نظام من التوازنات. غير أنَّ هذا لا يعني أن عمليات النهب هذه تتم بطريقة غير منظمة: بل على العكس، فإن المعاهدات والقوانين الاستراتيجية تصر على أهمية أن يراقب الجنرال عن كثب توزيع الغنائم. وأخيرا عكفت الباحثة لوسيا مالبوس على درس تاريخ النهب لدى الدول الإسكندنافية، مذكرة أن عدوانية هؤلاء القراصنة الشماليين ليست موجهة فقط ضد المجتمعات الخارجية. فقد كشفت الحفريات الأثرية الجديدة أن الفايكنج نهبوا أيضا موانئ النرويج والدنمارك. وقد بينت الأبحاث أنَّ النهب نشاط له قيمته الاجتماعية في هذه المجتمعات، بحيث أنه لا يعتبر سرقة أو اعتداء: تستشهد الباحثة بقصة -إجيل-، الذي سرق ثروة صاحب مزرعة أثناء الليل قبل أن يدرك أنه أخطأ، فيعود أدراجه ليقتل المزارع وعائلته حتى يتجنب العار الذي قد يلحقه حينما ينكشف ما حدث لهم، فيرتبط اسمه بسرقة مبتذلة.

من بين هذه الدراسات المونوغرافية، تبرز دراسة غي هالسول التي تظهر بجلاء أنها أفضل دراسة احتواها الشق الفرنسي من الكتاب -الجزء الثاني من الكتاب ضم دراسات باللغة الألمانية- فبعد أن ذكّر الباحث بتنوع المجتمعات القديمة قبل العصر الوسيط وبعده، يُثير مسألة الفعالية الحقيقية من النهب والسلب في سياق المجتمعات الريفية، التي لا تستعمل العملة النقدية في تجارتها إلا نادرًا، كما أنها تتميز بانكماش ديمغرافي واقتصادي لا يُمكن إنكاره، فماذا يوجد لدى هؤلاء لنهبه؟

قد يستولي اللصوص، بالتأكيد، على عدد قليل من رؤوس الماشية، أو كنوز متواضعة في الكنائس المحلية، أو أخذ بعض العبيد، لكن هذه ثروات ضئيلة جدًا مقارنة بتكاليف هذه الحملات ومخاطرها. ما هو الغرض من النهب إذن؟ يقترح الباحث تفسيرين اثنين، الأول سياسي والثاني أنثروبولوجي. على

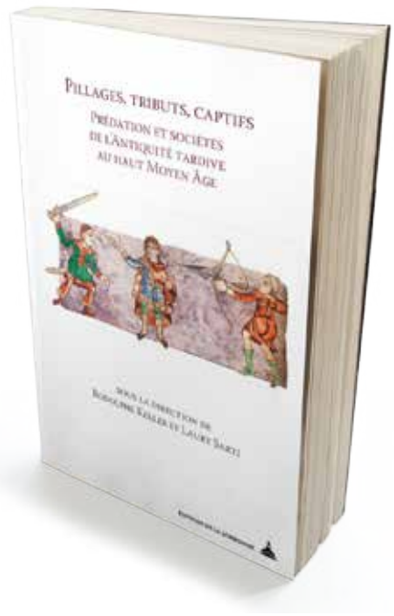

المستوى السياسي، كانت المجتمعات القوية تعتبر نهب أراضي الخصم وسيلة جيدة لتدمير شرعيته أو إجباره على قبول معركة ضارية وغير متكافئة. ويقدم الباحث مثالا الإنجليز الذين لم يتصرفوا بشكل مختلف في بداية حرب المائة عام. وعلى المستوى الأنثروبولوجي، يقترح غاي هالسال أن النهب في نهاية المطاف يمارس من أجل تأكيد ممارسات حربية ورمزية، لأنه يرفع من قيمة المحارب اجتماعيا وسياسيا. ومن هذا المنطلق يقترح الباحث مقارنته بطقوس الصيد في العصر القديم، لأننا نعرف الآن من علم الآثار أن الطريدة لا تشكل سوى جزء صغير من النظام الغذائي في العصر الوسيط: إذا كان النبلاء يصطادون، فليس لإطعام أنفسهم ولكن فقط للتألق في عيون أقرانهم. كذلك عملية السلب والنهب فهي في الأساس النموذج نفسه لأنها تشكل جزءا من ثقافة المنافسة والسباق على التميّز، فبواسطة النهب يأمل المحارب خصوصًا أن يُميز نفسه بين رؤسائه للحصول على الألقاب، التي كانت لها أهمية أكبر قياسا بالثروات المسلوبة.

وعلى الرغم من الأهمية الكبيرة لهذه المساهمات البحثية، فإننا نلاحظ عددا من العيوب الشكلية، تهم جوانب التصنيف والأسلوب. كما يمكن أن ننتقد العديد من الدراسات نظرا لمنهجها المتسرع أيضًا. ومرد ذلك، دون ريب، إلى الرغبة في تغطية جميع جوانب الظاهرة المحددة في المقدمة بصيغة جماعية دون تطوير هذه الجوانب حقًا. على الرغم من أن هذا الخلل لا يتناقض مع المنهج التاريخي، إلا أنَّ هذا الخلل يشعر القارئ بالإحباط، لأنَّ عددًا من القضايا لم يتم الإحاطة بها بشكل مفصل. مثلاً: الباحثة ماريليا ليكاكي قالت إنَّها ستعود في دراستها إلى تحليل الدور الاقتصادي الذي يلعبه أسرى الحرب، لكنها لم تكرس للقضية سوى سطرين. هذا التناول السطحي في بعض الأحيان والحالات أفقد بعض الدراسات رصانتها العلمية، ثم هناك عامل مؤسف أيضًا ويتمثل في أن المشروع ضخم، ولكن الحيز المخصص ضيق، لأن الكتاب قصير جدًا، حوالي ٢١٤ صفحة. ربما كان من المُمكن ترك مساحة أكبر للباحثين لتطوير أفكارهم. وبالتالي فإنَّ الانطباع العام حول الكتاب يشوبه إلى حد ما بعض الغموض بسبب مشاكل في تصنيف فصول الكتاب وموضوعاته ومع ذلك يظل الكتاب حقيقة مشتلا زاخرا بمجموعة من الأسئلة المثيرة للاهتمام والقابلة للتحليل والتأويل، لأنَّ الكتاب يركز على موضوع ما زال قليل التناول من طرف الدراسات التاريخية. لهذا يستحق التنويه لتخطيه هذه الحدود في كتابة التاريخ ولكسره الفجوة التقليدية التي تفصل بين العصر القديم، حتى الفترة المتأخرة منها، والعصر الوسيط، وحتى الفترة المتأخرة منها أيضاً. وبذلك قرّبت الدراسة المسافة الرهيبة والمثيرة بين إمبراطورية أنطونيوس ونرويج الفايكنغ، بحيث أظهرت تواصلاً وتقارباً وتشابها بين الحقبتين. وهذا وحده يعد إنجازا مهماً في الكتابة التاريخية. كما أنَّ منجزات الكتاب المنهجية والموضوعاتية يمكن أن تؤخذ نموذجاً يحتذى به من قبل الدارسين العرب لتاريخهم العربي الشامل أو للدارسين العرب لتاريخهم الإقليمي، بحيث سيتمكنون من إزاحة الغبار عن تاريخهم القديم لتبوؤه مكانة جليلة يستحقها بكل تأكيد. كما أن الكثير من مفاتيح فهمنا لحاضرنا ومستقبلنا منحجبة عنا وراء أدبياتنا التاريخية القديمة ومآثرنا المطمورة تحت التراب والنسيان.

الكتاب: النهب والسلب والضرائب: الضراوة والمجتمع من العصر القديم إلى العصر الوسيط.
المؤلف: رودولف كيلير ولوري سارتي
الناشر: منشورات جامعة السوربون.
سلسلة التاريخ القديم والوسيط.
اللغة: الفرنسية.
تاريخ النشر: ٢٠١٨
عدد الصفحات: ٢١٤ صفحة

*** كاتب مغربي**

"العصا الغليظة: حدود القوة الناعمة وضرورة القوة العسكرية".. لإليوت كوهين

فينان نبيل *

«تحدث بلطف، واحمل عصا غليظة».. عبارة شهيرة للرئيس الأمريكي السابق تيودور روزفلت (١٩٠١-١٩٠٩)، ظلت قيد التطبيق خلال عصر التنافس مع الاتحاد السوفييتي السابق إبان الحرب الباردة، بينما اليوم يشكك الكثير من الأمريكيين في جدوى الانتشار العسكري الأمريكي خارجيا اعتقادا منهم أنه عفى عليه الزمن، وأنه خطير العواقب، خاصة بعدما تكبدت القوات العسكرية الأمريكية خسائر فادحة في حربي أفغانستان (٢٠٠١)، والعراق (٢٠٠٣)، وفي اتجاه مغاير لرؤية هؤلاء، يدافع إليوت كوهين في مؤلفه «العصا الغليظة» عن القوة العسكرية الأمريكية، وأهميتها لخدمة الأمن والقيم الأمريكية. منطلقا من حجة رئيسة مفادها أن القوة الصلبة لا تزال ضرورية للسياسة الخارجية الأمريكية، مع الاعتراف بأن الولايات المتحدة ينبغي أن تكون حذرة في استخدامها.. ويُقيم كوهين السنوات الخمس عشرة الماضية من الحرب، ويصف التقدم في أفغانستان بالهش، وحرب العراق بالخطأ، لكنه أشار إلى الفوائد التي حصدتها الشعوب في تلك الدول -على حد قوله- وما حققته من إنجازات مثل الإطاحة بنظام طالبان، ونظام صدام حسين.

ويسلط كوهين الضوء على براعة الولايات المتحدة التكتيكية، لكنه يُلاحظ أن التفكير الإستراتيجي حول طبيعة الحرب وكيفية مواءمة الوسائل العسكرية مع الغايات السياسية ينتهي بشكل غير مرغوب فيه، ويرى أن هناك مجموعة من التهديدات العالمية القائمة، التي ربما تدفع الولايات المتحدة إلى استخدام قوتها العسكرية؛ من أبرزها: الصعود الصيني المسلح، والغزو الروسي لشبه جزيرة القرم وشرق أوكرانيا، والتهديدات النووية لكوريا الشمالية وإيران، وانتشار الحركات الإسلامية المتطرفة، كتنظيم الدولة الاسلامية (داعش).

يضع كوهين الصين في المرتبة الأولى في قائمة التهديدات العالمية، يُؤكد على وجوب اتخاذ الخطر الصيني على محمل الجد وإجراء تحليل ثاقب ودقيق له، والعمل على فهم كامل للثقافة الإستراتيجية الصينية وسلوك ساحة المعركة. موضحا أن النظام الدولي ربما يعاد تشكيله إذا ما قامت بكين بأي اعتداءات بحرية، أو بدأت الصراع مع أحد حلفاء الولايات المتحدة في آسيا. كما عبر الكاتب عن قلقه من قيام روسيا بأي اعتداء في الوقت الحالي. ويرى كوهين أنه لمواجهة القوة العسكرية الصينية والروسية، وغيرهما من القوى المناوئة للولايات المتحدة، فإن ثمة ضرورة للتطوير المستمر لتقارير الأجهزة العسكرية الأمريكية، والتي يقوم بعضها على افتراضات خاطئة، من وجهة نظره؛ منها: أن روسيا ضعيفة اقتصاديا للغاية بما لا يمكنها من اتخاذ قرار أي هجوم عسكري في الوقت الراهن، وحذر كوهين من إحجام الولايات المتحدة عن استخدام القوة، لأن ذلك ربما ينجم عنه تكلفة أخلاقية وبشرية كبيرة، في ظل عالم تنتشر فيه الأنظمة غير العقلانية، والجماعات الجهادية الإرهابية، والعصابات الإلكترونية، والأعداء المنافسون لقيادة الولايات المتحدة للنظام الدولي ومثل هذه المعطيات تحتم على الولايات المتحدة اللجوء إلى التهديد الحكيم، وممارسة القوة العسكرية في حالات التهديد الاستراتيجي، أو حالات الطوارئ الإنسانية.

وأكّد كوهين ضرورة تطوير استخدام القوة بوسائل جديدة لمواجهة التطورات العالمية المعاصرة، مشيرا إلى أهمية الدور الذي تلعبه القوات العسكرية الأمريكية لدعم الدور الأمريكي عالميا. ولفت النظر إلى أنه إذا تخلت الولايات المتحدة عن مكانتها كقوة عسكرية حكيمة، وفشلت في القيام بدورها كحارس لاستقرار وأمن النظام الدولي، فإنه سيتعرض لمخاطر واسعة النطاق كالاضطرابات، والعنف، والاستبداد على نطاق لم يشهده منذ ثلاثينيات القرن الماضي. ويؤكد الكاتب قول وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة مادلين أولبرايت إن الولايات المتحدة لم تزل «الأمة التي لا غنى عنها». وأن هناك احتمالات متزايدة لإمكانية استخدام القوة العسكرية، وتتفاوت مستويات حدتها، خلال العقود التالية.

دافع الكاتب بقوة عن زيادة الإنفاق العسكري مقارنة بميزانية الدفاع الحالية، فقد حاول ترامب تأمين المزيد من الأموال لصالح البنتاجون، كما يرى العديد من صقور الجمهوريين التقليديين أن زيادة الإنفاق الدفاعي لترامب غير كافية، وقد قال السيناتور ماكين: «في عالم يشتعل، يجب علينا بل ويمكننا أن نفعل الأفضل»، ويرى كوهين أن تحديد الإنفاق الدفاعي كنسبة مئوية من الناتج المحلى الإجمالي سيكون تقدما كبيرا. وإن لم يحدده بدقة ولكنه يضع هدفا مستداما بنسبة ٤٪. وفي ظل توقعات إجمالي الناتج المحلي لمكتب الميزانية في الكونجرس في يناير٢٠١٧، فإن تلك النسبة ستصل إلى ما يقرب من ثمانمائة مليون مليار في ٢٠١٨.

ينفق الأمريكيون عشرات المليارات ليدفعوا ثمن استمرار أمريكا في الحروب؛ مما أثارغضب الجمهوريين والديمقراطيين عندما دعا الرئيس دونالد ترامب إلى إجراء تخفيضات كبيرة في كل الدوائر الحكومية تقريبا من أجل تعويض الزيادات الكبيرة المخطط لها في البنتاجون، وقطاع الأمن الداخلي، التي تزيد على ٣٪ من إجمالي الناتج المحلي في أثناء الحرب الباردة. ويري كوهين -خلافا للاعتقاد السائد- أن تراجع قدرة الدولة على الوفاء بالديون، ليس بسبب الإنفاق العسكري، وإنما بسبب الزيادة الثابتة على الإنفاق غير الاختياري على ما يسمي «الاستحقاقات» كالرعاية الصحية، والضمان الاجتماعي. وافترض أنه في حال تم تخفيض ميزانية الدفاع إلى النصف، فإن الأوضاع المالية للبلاد لن تتحسن كثيرا.

وأوضح الكاتب أن استخدام القوة العسكرية لا يمثل الحل لكل مشكلة، وإنما تلعب القوة الناعمة دورا محوريا أيضا، مشيرا إلى أن أشكال القوة غير العنيفة لها مكانتها في فن حكم أي دولة. وفي هذا السياق، انتقد إدارة الرئيس الأمريكي باراك أوباما، لأنها لم تحسن استخدام الأشكال غير العنيفة للقوة خلال الحرب ضد الإرهاب. إذ إنه من خلال القوة الناعمة، يمكن إقناع الدول غير الصديقة للولايات المتحدة بالتصرف بطرق مرغوب فيها. مع تأكيده على أن القوة الناعمة لها أثر محدود وأنه يجب الاعتماد على القوة الصلبة بشكل أكبر. وأن أمريكا تحتاج إلى جيش أشد قوة من الذي تملكه الآن.

ويجب أن تكون على استعداد لاستخدامه، على الرغم من أن الأمريكيين قد أصبحوا متعبين منذ عقد ونصف من صراع طال أمده، ولكن كوهين يرى أن الأمة الأمريكية يجب أن تظل على استعداد لشن المزيد من الحروب وليس للردع فقط، ويرفض أي محاولات سابقة للحد من استخدام القوة، ويقول: إن ما نحتاجه هو مجموعة حذرة من التذكيرات لتوجيه القيادات الأميريكية الذين انتهوا إلى أن العنف هو أقل الخيارات سوءا.

يكاد دونالد ترامب أن يكون قرأ كتاب كوهين، لقد تعهد «بقصف داعش»، وتفاخر بتخويل «جيش» لإسقاط كم هائل من المتفجرات (المعروف باسم أم القنابل) على أفغانستان، فلا أحد يستطيع أن يشكك في رغبة ترامب في ممارسة التوسع في القوة الغاشمة، رغم أن ذلك أدى لقتل العديد من الأبرياء، ولقد تحدث ترامب بوضوح حول استخدام الأسلحة النووية، وكذلك يرى كوهين أن الأسلحة النووية مفيدة لأكثر من مجرد الردع، وأشار كريس ماتيوز من «إم.إس.إن.بي.سي» إلى أن تطلعات ترامب حول الاستخدام النووي للمرة الأولى قد تهدد سياسة منع الانتشار النووي لعقود، ويمكن أن تشجع حلفاء الولايات المتحدة مثل اليابان على إعادة النظر في قرارهم بالتخلي عن مثل هذه الأسلحة.

وتناول كوهين ما أسماه الدول التي تشكل خطرا (روسيا، إيران، كوريا الشمالية) بشكل موجز لكنه دقيق؛ إذ أوصى بعدة إجراءات للتعامل معها منها، طمأنة حلفاء الولايات المتحدة الأمريكية، خاصة في أوروبا، وبناء قدرات لنزع أسلحة إيران أو كوريا الشمالية بشكل استباقي إذا كان من المرجح أن يستخدموا أسلحتهم النووية في أي وقت.

ويرى كوهين أن إخفاقات أمريكا في الحرب حتى الآن تنبع بشكل رئيس من «تردد واشنطن في تحديد العدو بشكل صحيح للبدء به»، ويرى أن تحقيق النجاح يتطلب من القادة التخلص من المفاهيم الخاطئة، والتصريح حول حقيقة أن هذه الحرب ستستمر لعقود، وهذا ما فعله ترامب بالتحديد، فقد أوضح في نوفمبر٢٠١٥ بأن «هناك تهديدا أكبر بكثير مما يفهمه شعب بلادنا».

وعلى ما يبدو من توافق بين أفكار كوهين وترامب، إلا أن الواقع يقدم دلائل على أن الكاتب ليس من مؤيدي ترامب؛ حيث يدعم كوهين بقوة مبادرة أطلقها مجموعة من الأكاديميين تعارض سياسة ترامب، فقد رفضوا «دفاعه عن الحروب التجارية ووصفوها بالكارثة الاقتصادية في عالم مترابط، كما انتقدوا خطابه المعادي للمسلمين، ووصفوا تحمسه لبناء حائط حدودي مع المكسيك للسيطرة على الهجرة الشرعية بأنه سوء قراءة، وازدراء للجار الجنوبي، واستنتجوا أنه قد يستخدم سلطة مكتبه بطرق تجعل أمريكا أقل أمنا، ما من شأنه أن يقلل شأنها عالميا، علاوة على رؤيته لكيفية ممارسة السلطة الرئاسية تشكل تهديدا واضحا للحرية المدنية خاصة ضد منتقديه.

تبدو عبارة روزفلت «العصا الغليظة» حاضرة في ذهن ترامب، لكنه أغفل الجانب الآخر «تكلم بهدوء» على الرغم من أن العصا العسكرية الأمريكية بالفعل غليظة وأكثر ترويعا من أي شيء كان يمكن أن يتخيله روزفلت، إنما ليست كبيرة بما يكفي بالنسبة لترامب، فترامب يختلف عن نهج سلفه؛ فهو يركز على السلام من خلال القوة، بينما كان أوباما ينتهج «القوة الناعمة».

فرض الدستور الأمريكي قيودا صارمة على القوة العسكرية للبلاد، وأرغم الرؤساء على الذهاب إلى الكونجرس كلما رغبوا في بدء حرب، وبموجب هذا النظام، يمكن للأمريكيين إجراء نقاش وطني حول نوع القدرات العسكرية المطلوبة للحفاظ على سلامتهم، ويربط كوهين الافتقار إلى تفكير إستراتيجي متميز بعدم فعالية الكليات الحربية في البلاد.

ذكر الكاتب أنه منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥، والولايات المتحدة تلعب دور الضامن الرئيسي للنظام الدولي؛ حيث صاغت أسس وقواعد العلاقات التجارية والمالية لمرحلة ما بعد الحرب لتحفيز حرية حركة السلع، والخدمات، ورأس المال، والعمالة. كما أنها أسست أيضا النظام السياسي لتعزيز المؤسسات الليبرالية والديمقراطية. ويضيف أنه بذلك تمتع العالم -لأكثر من سبعين عاما- بعصر من الازدهار والحرية لم يسبق له مثيل. فخلال تلك الفترة، لم تحدث صراعات عالمية كبري، بفضل وجود قوة كبرى مهيمنة تحافظ على النظام بقوة السلاح.

وينتقد كوهين فكرة «عالم ما بعد أمريكا»، مؤكدا أن الولايات المتحدة لا تزال قوية للغاية في العديد من أبعاد القوة. فمثلا في البُعد الديموغرافي، لا تزال أفضل من أي بلد متقدم آخر، كما يتسم البعد الاقتصادي للقوة الأمريكية بالديناميكية. أما البُعد السياسي، فيتسم بالصمود، على حد قول المؤلف.

ويضيف: إن هناك فروقا واضحة بين الولايات المتحدة ومنافسيها في مصادر القوة لمصلحتها، مما جعلها تحافظ على مكانتها كقوة مهيمنة على النظام الدولي، منذ نهاية الحرب الباردة. وانطلاقا مما سبق، تظل ثمة أهمية للدور الأمريكي في ضمان استقرار النظام العالمي، نظرا لإحجام أو عدم قدرة القوى الدولية الأخرى على القيام بذلك.

لهذا، يدعو كوهين الإدارة الأمريكية الجديدة إلى استخدام القوة العسكرية لمواجهة التحديات الأمنية التي تهدد النظام الدولي، وفي مقدمتها محاربة التنظيمات الإرهابية، والتي تتطلب إستراتيجية فعالة تركز على شن حملات برية وجوية متواصلة. وفي سياق متصل، يرى أن الأوضاع في ليبيا ربما تكون أكثر استقرارا، إذا أبقت الولايات المتحدة وحلفاؤها على بعض القوات، بعد الإطاحة بمعمر القذافي. ويدعو المؤلف إلى نشر قوات أمريكية في بولندا ودول البلطيق لدرء الأعمال العدائية الروسية. ويرغب أيضا في تعزيز الوجود البحري الأمريكي في منطقة الخليج العربي لإحباط الطموحات الإقليمية الإيرانية.

ويري كوهين أن جميع مرشحي الانتخابات الرئاسية، الذين يعلنون، أثناء حملاتهم الانتخابية، أنهم سيقللون من الاعتماد على القوة العسكرية، يغيرون مواقفهم، بعد فوزهم، وتوليهم منصب الرئاسة رسميا؛ لأنهم يُجبرون على مواجهة العالم كما هو، وليس كما يرجون أن يكون. ولا يبدو أن الرئيس ترامب سيقف مكتوف الأيدي أمام تقارير المخابرات التي تصف العالم كما هو.

«العصا الغليظة».. كتاب متميز يعبر عن عنوانه، يفند خلاله إليوت كوهين -عميد الفكر الإستراتيجي الأمريكي ومستشار وزيرة الخارجية السابقة كونداليزا رايس- القوة العسكرية الأمريكية، ويحلل التهديدات التي تواجهها السلطة، ويذكرنا دوما بأنه «لكي نذهب بعيدا في هذا العالم يجب علينا أن نتحدث بهدوء ونحمل عصا غليظة». ويختتم كوهين كتابه بتوصيات حول متى وكيف تستخدم القوة، ويخلص إلى أن الخطط مهمة ولكن القدرة على التكيف أكثر أهمية؛ فالرئيس الأمريكي يستطيع أن يشن حربا ولكن عليه الفوز فيها، وعليه أن يحافظ على دعم الكونجرس والتأييد الشعبي، والتفكير بشكل أكثر مرونة، والتحلي بالصبر حول نتائج الحرب. ويُمكن القول إنَّ الكتاب له أهمية كبرى ومفيد للمتخصصين وغيرهم على حد سواء، لكنه يظل محط انتقاد لكل من يدعو لعدم استخدام القوة العسكرية.

- الكتاب: «العصا الغليظة.. حدود القوة الناعمة وضرورة القوة العسكرية».
- المؤلف: أليوت كوهين.
- الناشر: Basic Books، نيويورك، ٢٠١٧م.
- عدد الصفحات: ٢٩٩ صفحة.

*** كاتبة وباحثة مصرية**

المرأة قوية لتغيير مسار العالم
للكاتبة الهندية ج. ديفيكا

فيلابوراتو عبد الكبير *

بدأت الحركة النسوية في كيرالا في بداية ثمانينات القرن الماضي وأصبحت جذورها راسخة في التسعينات. وتعد الدكتورة «ديفيكا» من الوجوه المشرقة واللامعة في الأوساط النسوية بحضورها القوي في المحافل الثقافية وبتدخلاتها الجريئة في قضايا المرأة وحقوق الإنسان وحقوق الأقليات بما فيها حقوق الأقليات الجنسية. وهي مشهورة بصفتها مؤرخة وناقدة اجتماعية ومفكرة وأستاذة ومترجمة فضلا عن أنها ناشطة نسوية. بعد أن حصلت على درجة الماجستير في التاريخ من جامعة جوهر لال نهرو نالت الدكتوراه من جامعة ماهاتما غاندي في موضوع "الشخصنة (Personalization) والجنس المغاير في حداثة كيرالا"، وحاليا تشتغل أستاذة وباحثة في مركز الدراسات التنموية في كيرالا. ولها عدد من الكتب والبحوث القيمة مثل « كيف تولد المرأة الأصيلة والمرأة السوقية » و «منظار المرأة المواطنة» و"النسوية في بواكير الأعمال الأدبية بلغة «مالايالام».

وكتابها الجديد بعنوان « المرأة قوية في تغيير مسار العالم» محاولة منها لبحث العلاقات بين الديموقراطية والسياسة واختلاف الجنس في سياق علم الاجتماع الذي يتفرع من علم السياسية كما تقول هي نفسها. إنه نتيجة حوارات مستفيضة أجرتها الكاتبة مع الطلبة والطالبات في جامعات مختلفة في كيرالا. تبحث الكاتبة عن حضور النسوان في الثورات والحركات الاجتماعية ومشاركتها في الأحزاب السياسية وتشكيل الحكومات وعن علامات السلطة الجنسية في الحياة العامة كما تبحث عن الأبعاد السياسية للفكرة النسوية وعن المعاني الدقيقة لبعض الكلمات التي تتعلق بالنساء والتي ظلت جزءا من اللغة المالايالامية مثل «التمكين» و«التحرير». نجد في الكتاب إضاءات على ما يجري في دول العالم من التقدم في مجال تمكين المرأة وإنجازاتها في شتى مناحي المجتمع. وتدعي الكاتبة أن هذا الكتاب مدخل لمن يهتم بسياسة المنهج الفكري للنسوية حيث يقدم إجابات للأسئلة التي تطرح محليا في سياق ما يجري داخل النسوية على مستوى العالم. وتقول إنها تستهدف بكتابها القراء ولاسيما النساء منهم ممن استكمل الثانوية ويهتم بالشؤون العامة ويحب الحياة، وحسب قول الكاتبة إنه محاولة لإلفات نظر القارئ العادي والطلبة معا إلى علم الاجتماع والدراسات السياسية التي تنطوي في دراسة «الجندر».

كتابها الأول « كيف تولد المرأة الأصيلة والمرأة السوقية» الذي تم نشره عام ٢٠١٠ كان سياقه تاريخا. وأما الكتاب الجديد الذي يُنشر بعد مضي ثماني سنوات من الكتاب الأول وإن كان موضوعه ذا علاقة بالكتاب الأول فإطاره أوسع من سابقه. لأن محور الكتاب الأول يدور فقط حول قضايا المرأة في ولاية كيرالا بينما الكتاب الثاني محاولة لرؤية تاريخ العالم خلال المنظار النسوي. وفي مقدمة الكتاب توضح «ديفيكا» موقفها من النسوية المتميزة التي تمثلها: النسوية السياسية التي تعادي جميع أشكال السلطة الأبوية لا يتم تنظيمها على شاكلة أحزاب يتم تنظيمها من الكوادر. فالنسوية المعاصرة حلقة ذات أبعاد دولية واسعة تشكلت من خلال تبادل آراء وحوارات. وهذا الكتاب انطلاق من نقطة خاصة في هذه الحلقة. وهذه النقطة ذاتها نسويتي، نسوية متميزة تعتقد في السياسة الديموقراطية اليسارية وتنتقد الجنس المغاير (Heterosexuality) وتقاوم النسويات الغربية الليبرالية وتؤكد أهمية مراعاة الظروف المحلية وتعتبر التناقضات النسوية قوة «هذه هي نسويتي أنا».

الفصول الثلاثة من أول الكتاب تركز على أهمية السياسة في حياة المرأة. وتناقش فيها ضرورة السياسة للمرأة والنسوة اللاتي حظين بتقلد المناصب العليا في الحكومات. كانت الفكرة الشائعة في بداية العقود الأولى من القرن الماضي أن السياسة لا تليق وطبيعة المرأة. والأنسب لها إذا خرجت من البيت أن تحصر حياتها موظفات في دوائر حكومية أو شركات وأن تحدد نشاطاتها في الخدمات الاجتماعية فقط، وكان مفهوم السياسة ذاته محصورا في السياسة الحزبية. حتى اليساريين كانت السياسة لديهم ليست إلا السياسة الطبقية. وقد حدثت تصحيحات في هذه المفاهيم الآن حيث تجاوزت السياسة الصراع الطبقي والسباق في الحصول على الموارد إلى ضرورة تمييز عنصر السياسة في كل شيء يرتبط بالسلطة نتيجة للمساعي التي بذلتها الحركات النسوية والحركات البيئية. أظهرت الحركات البيئية أن علاقاتنا بالطبيعة مرتبطة بالسلطة لا يمكن إيجاد حل لها بطريقة التكنولوجيا الجديدة وحدها كما ذكرت الحركاتُ النسوية أن السياسة ليست ظاهرة توجد في الأماكن العامة فقط بل هي ظاهرة تتخفى حتى داخل الأسرة في شكل السلطة الذكورية. وتشير الكاتبة إلى أن علم السياسة الذي ترعرع في القرن التاسع عشر إنما تطور من النظرية إلى علم الاجتماع تحت كنف الجامعات في الولايات المتحدة. يُعتقد أن علم الاجتماع يمكنه التنبؤ بالضبط عن الظواهر الاجتماعية كما يَقدر للفيزياء أن يُنبئ بالضبط عن الظواهر الطبيعية. فإذًا نستطيع توفير المعلومات العلمية والتدخل بواسطتها في المجتمع كما نقوم بالتدخل في الطبيعة بناءً على المعلومات المتوفرة علميا.

وبما أن السياسة تتسع لدراسات عن الديموقراطية وعن مشاركة السواد الأعظم فيها وتفسيرات السياسة وفقا لمصالح العصر علينا أن ندرس أيضا فلسفة السياسة. وبالمناسبة تحاول الكاتبة أن تصحح سوء الفهم السائد في هذا الصدد بأن الفكر السياسي من إنجازات الغرب فقط وتشير إلى ما أنجب في هذا الحقل جهابذة المفكرين العرب والفرس أمثال الفارابي وابن رشد وابن سينا والتيارات «البوذية» و«الجَينية»(Janinas) في الهند التي قاومت هيمنة فلسفة الطبقة العليا من « البراهمة». وترى أن أي ظاهرة سياسية يجب مقاربتها من منظور

انتقادي نسوي بحيث يمكن الكشف عن المصالح الذكورية الخفية فيها. ولو أن ساحة السياسة واسعة فليست متساوية تماما بل توجد فيها التفرقة بين المستويات العليا والسفلى حتى بين النسوان أيضا، ويجب علينا مخاطبتها جميعا. لذا تناشد إعادة بناء الفكر السياسي بحيث يبرز وجه سلطة الجنس الذي يهيمن عليه. ويجدر بالذكر هنا أن النسوية قد استطاعت مساءلة تقاليد السلطة الذكورية في علم السياسة وفلسفة السياسة.

بالنسبة لحضور المرأة في الانتخابات وفوزهن بالمقاعد نجد في هذا القسم من الكتاب إحصائيات تشير إلى تقدمهن في هذا المجال. وفي انتخابات مجالس البلديات التي جرت في العام ٢٠٠٥ في كيرالا كان العدد الفائز منهن ٦٠٢٦ بينما ارتفع هذا العدد إلى الضعف في انتخابات العام ٢٠١٠ بحيث أصبح ١٢٢١١. وفي عام ٢٠١٥ فاق العدد الفائز منهن على عدد المرشحين الرجال بحيث أصبح ٣٨٢٨١ بينما كان عدد الرجال ٣٧٢٨١. والمقالات الأخرى ذات العلاقة بالموضوع غنية بمعلومات عن عدد النائبات في المجلس التشريعي بولاية كيرالا والولايات المتحدة إضافة إلى المعلومات عن المنظمات النسوية في الهند البريطانية وبلدان أخرى من أوربا وغيرها. وقد اهتمت الكاتبة بذكر بعض النسويات وإسهاماتها في السياسة مثل « حنا آرندت (١٩٧٥-١٩٠٦) التي فكرت قبل «كارل ماركس» و «جون ستيوارت مل» في أهمية مشاركة المرأة في السياسة. وتحت عنوان « هل النساء يحتجن إلى السياسة « تحاول أن تبرر هذه الحاجة بظروف تعاني فيها النسوة عموما من شتى أنواع الاضطهاد والضغوط وتورد تفاصيل المناقشات الساخنة التي جرت حول هذا الموضوع داخل المجالس التشريعية وخارجها على مستوى العالم. ومن الحقائق المرة أن الأحزاب السياسية عموما لا ترحب بالنساء. هذه هي الحالة السائدة ففي كل مكان. علاوة على ذلك إن معظم النساء يحرمن من الوسائل اللازمة للخطوات إليها. وقلما نجد النساء اللاتي يتفرغن في السياسة بجميع أوقاتهن. وتقول الكاتبة إنه لا يعني أن النساء لا يحتجن إلى السياسة بتاتا بل هذه الأسباب ذاتها تثبت ضرورة مشاركتهن المباشرة في السياسة. لأن غالبية القرارات التي تمس حياتهن إنما تُتخذ داخل أروقة الأحزاب السياسية الرئيسة. فلا تستطيع المرأة أن تتخذ قراراتها الحرة إلا في عصر تتحقق فيه ديموقراطية الجنس.

فماذا عن النسوة التي احتلت بأعلى مناصب الحكم في العالم مثل جولدا مائير في إسرائيل وسيريمافو بندارا نايكا في سريلانكا واندیرا غاندي في الهند وحسينة في

البنجلاديش وبىنظير بوتو في باكستان؟ وأكثرهن من الآسيويات. وأما الأوربيات والأمريكيات بينهن فنادرة جدا. وفي الانتخابات الرئاسية الأخيرة في أمريكا كانت هيلاري كلينتون مرشحة إلا أنها لم تفز. ويستثنى من هذه الفئة مارجريت تاتشر رئيسة الوزراء السابقة في المملكة المتحدة والمعروفة باسم المرأة الفولاذية. وتقول الإحصائيات أن ٧٥٪ ممن أتيحت لهن الفرصة ليتولين مقاليد الحكم كن من خارج أوربا. والسبب في ذلك يعود إلى أن طريقهن إلى الحكم كان وراثيا ليس ديموقراطيا كما توضحه رونق جهان في دراستها عن هذه الظاهرة. ويرى المحلل الاجتماعي الهندي «أشيش نندي» وراء شعبية انديرا غاندي السيكولوجية العبودية المنطوية في الثقافة الهندية نحو الآلهة الأنثوية. لكن الأغلبية من هؤلاء النسوة لم توفق بتطبيق مبدأ المساواة كما لم تكن الديموقراطيات بمعنى الكلمة بل ذوات طابع استبدادي كما هو واضح في شأن انديرا غاندي. ويلاحظ أن انديرا غاندي كانت مثل تاتشر وجولدا مائر ممن تعادي النسوية. ومقابل انديرا تنصب الكاتبة في الهند أمثال «أروندهاتي روي» و«ميدها بدكار» و« تيستا سيتالفاد» اللائي يناضلن من أجل المهمشين من الشعب بالقيام بتصحيح مفهوم السياسة بأنها ليست سياسة الانتخابات الرسمية فقط. وتقدم نموذجا آخر من أستراليا «جوليا جيلارد» رئيسة وزرائها الأولى التي هاجمت رئيس الحزب المعارض «توني أبّت»متهمة إياه بالكراهية نحو المرأة.

« الأمن أم الحرية ما هو الأهم بالنسبة للمرأة؟» وفي فصل آخر تستعرض الكاتبة مناقشات دارت حول هذا السؤال وتؤكد أن حرية المرأة يجب ألا تُسرق منها باسم الأمن. وتنقل شواهد كثيرة مما أفسدت حياة المرأة باسم الأمن والتنمية مثل ما جرى في تانزانيا باسم حفظ مناطق الغابات وما جرى من احتجاجات عارية من جانب نساء في ولاية «مانيبور» ضد القوات الأمنية الهندية المتهمة باغتصاب النساء القرويات. ومعاناة المرأة إبان الحروب معروفة. وكثيرا ما يتعرضن لاغتصابات الجنود في الحروب.

الموقف الجريئ من قضية الحجاب يجعل « ديفيكا» متميزة عن النسويات العلمانيات. يتضح موقفها من هذه القضية الساخنة من الجمل البدائية في الفصل الخاص لهذا الموضوع: حجاب المرأة المسلمة «قضية كبيرة» في بلدان الغرب. وفي بلادنا أيضا قد بدأ البعض يظهر مخاوفه من المتحجبات. ينتابهم قلق بالغ إذا رءوا نساء متحجبات. أليست هذه من الواردات الخارجية؟ أليست هي محاولة للتعاون مع الإرهابيين؟ هذه هي الأسئلة التي يطرحونها.» نرى كثيرا من الرجال فضلا عن النساء يرتدون شعائر دينية؟ يلبس السيخ خنجرا كشعار ديني لهم. لما ذا لا نخاف منهم؟ لماذا هذه المخاوف حين نرى النساء المتحجبات فقط؟ تسأل الكاتبة. وترى أن هذه المخاوف ليست الا ما صنعته أمريكا في حربها على الإرهاب. وتلقي الضوء على التاريخ الطويل وراء معاداة النسوية الغربية نحو الحجاب. وتنقل تحليلات الكاتبة الفلسطينية - الأمريكية سارة ياسين حول الموضوع وقصائد مهجة كهف الساخرة من عبثية موقف العلمانيين ضد خرقة من القماش. وتقول إنه يجب أن يُعارَض منع النساء من ارتداء الحجاب كما يجب أن يعارض فرض الحجاب على النساء.

وبالإجمال نستطيع القول بأن الكتاب دراسة شاملة تحلل التيارات المختلفة من الحركات النسوية حتى ما يسمى بالنسوية الإسلامية إن صح التعبير التي تمثلها أمثال آمنة ودود وأسماء برلاس وليلى أحمد وليلى أبولغود وفاطمة مرنيسي.

عنوان الكتاب: المرأة قوية لتغيير مسار العالم
اسم المؤلفة: J. Devika
عدد الصفحات: ٢٧٠
لغة الكتاب: مالايالام (لغة محلية في الهند)
الناشر: Read me books
تيروفانانتابورام، كيرالا، الهند

*** مستعرب هندي**

بوتقة الإسلام .. لغلين وارن بوفرسوك

محمد الشيخ *

من مكان عن الغرب بمبعد، انبثقت دعوة إيمانية وإمبراطورية امتدت من شبه الجزيرة الإيبيرية إلى الهند لكي تشمل اليوم ربع قاطنة العالم. وقد أثارت هذه الظاهرة الفريدة غلين وارن بوفرسوك (١٩٣٦) ـ وهو أستاذ زائر للتاريخ القديم في عدة جامعات ومعاهد آخرها معهد الدراسات العليا ببرينستون (تقاعد منه عام (٢٠٠٦) ، ومؤلف حوالي ١٢ كتاباً و٤٠٠ مقالة حول اليونان والرومان والشرق الأدنى، وعضو الأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم، والجمعية الفلسفية الأمريكية، وحاصل على الدكتوراه الفخرية من جامعات ستراسبورغ وباريس وأثينا ـ إذ سعى في هذا كتابه «بوتقة الإسلام» (٢٠١٧) إلى تسليط الضوء على هذه الحقبة الأغمض والأكثر دينامية في تاريخ الإسلام ـ من منتصف القرن السادس الميلادي إلى عهد حكم عبد الملك بن مروان ـ مستكشفاً سر كيف استطاعت أرض يباب كشبه الجزيرة العربية أن تهيئ تربة خصبة لرسالة نبي الإسلام، ولماذا انتشرت تلك الرسالة بمثل هذه السرعة.

والذي عنده أن في زمن النبي، كانت شبه الجزيرة العربية تقف في ملتقى الإمبراطوريات الكبرى، حيث كانت تنتشر بها النصرانية واليهودية والوثنية، وكانت مكة ـ مسقط رأس محمد النبي ـ تابعة إلى ذاك القسم من شبه الجزيرة العربية الذي ما كان قد مضى على احتلاله من لدن أبرهة الحبشي إلا برهة. وكان أن فقدت الحبشة ـ المتحالفة مع نصارى شبه الجزيرة ـ هيمنتها لصالح بلاد فارس ـ المتحالفة مع يهود الجزيرة، في الوقت الذي توفي فيه إمبراطور بيزنطة عام ٦٠٢م مخلفا جوا من عدم الاستقرار بالمنطقة. في وسط هذا العماء، حيث كان السكان ممزقون بين القوى العظمى وأنساق الإيمان الكبرى المتنافسة، بدأ محمد يكسب ثقة العرب. وفي زمن مضطرب كهذا، تحول أتباعه إلى قوة قاهرة فتحت فلسطين وسورية ومصر، ممهدين الطريق إلى الخلافة الأموية كي تستكمل فتوحات الإسلام.

يتكون الكتاب من تسعة فصول، فضلا عن توطئة وهوامش ولائحة مصادر ومراجع مختارة وكلمة شكر وكشاف أعلام.

ويمكن إيجاز مضامين الكتاب على النحو التالي:

توطئة الكتاب ـ

يبدأ الكتاب باستشكال أمر كيف قاد الإيمان قوات العرب إلى التمدد خارج شبه الجزيرة العربية (إلى فلسطين وشمال إفريقيا وسورية) في عقود من الزمن قليلة، وذلك في منتصف القرن السابع الميلادي الأول. ويشير المؤلف إلى أن المؤرخين واقعين في حيرة من أمرهم بهذا الشأن، وأن أصحاب المعتقد اليهودي والمسيحي منهم لا يسعون إلى حل هذا اللغز عن أهوائهم بمبعد، وذلك مثلما أن المسلمين أنفسهم يعسر عليهم تطبيق الصرامة المنهجية في التفتيش في كلمة الله ـ الوحي ـ كما صعب ذلك تماما على المؤرخين الأقدمين الذين لم يصاحبوا حدث الفتح.

على أنه كان ثمة جيل الباحثين الرواد المتخصصين في الإسلام، شأن نولدكه وفيلهاوزن وغولدزيهر، طبقوا مناهج فقه اللغة على النحو الذي استمدت به بنجاح في دراسة العهدين الجديد والقديم من لدن الحكيم الهولندي إرازموس (١٦٦٧-١٥٣٦) وفقيه اللغة والمستشرق الألماني جيسينيوس (١٧٦٨- ١٨٤٢). وقد أقروا بأن طريقة وصول هذه النصوص إلينا قابلة لكي تخضع إلى منهج النقد التاريخي، وأنه يمكن ملء ما يعتورها من ثغرات من خلال ما كتب على الصخور وأوراق البردي وما نقش على العملات وما كشفته الحفريات. وهو المنهج الذي طبقه المؤلف بحذافيره في كتابه هذا.

لكن المؤلف يرى أن الإسلام لا زال يتأبى عن القبول بمثل هذه الطرائق، وذلك بحكم سلطان القرآن، بما هو يُعَد عند المسلمين كلام الله الذي أوحى به إلى نبيه، ويقاوم التحدي الذي أعلنه إرازموس. ومما طم الوادي على القرى، الهوة الموجودة بين زمن نزول القرآن وزمن مجيء المفسرين. وفي أثناء هذه الهوة نفذ المعلقون غير المسلمين، مفسرون ومؤرخون، فاشتغلوا بلغات مختلفة ـ يونانية وآرامية وسريانية ـ على أحداث الإسلام وكل يتكئ على غيره، لكن بناء على آفاقهم الفكرية التي لم تكن بالضرورة متعاطفة مع الإسلام، بل حتى متفهمة له.

ثم يعرج المؤلف للحديث عن الكتب الثلاثة الأخيرة ـ «محمد وأتباعه من المؤمنين» (٢٠١٠) لفريد دونر، و«سبيل الله» (٢٠١٥) لروبرت هويلند، و«بزوغ الإسلام في العصور القديمة المتأخرة» (٢٠١٤) ـ التي تناولت المصهر أو البوتقة التي انصهر فيها الإسلام وصهر غيره من الثقافات والشعوب، مقوما إياها بما لها وما عليها، مثنيا بالخصوص على العمل الأخير الأطول نفساً، في رأيه، والأكثر تنقيبا، والأشد توثيقا. وما كانت هذه البوتقة عنده سوى ما حدث من اتصال بين شمال غرب شبه الجزيرة العربية والثقافات المحيطة بها، ثقافات فلسطين وحمير والحبشة، ومساهمة بلاد فارس، على الأرجح، في هذه المزجة الواسعة، وكذلك فعلت العوائد الوثنية الأهلية التي قامت هناك لأمد طويل؛ فضلاً عن التطور الذي شهدت عليه الجماعات اليهودية والنصرانية بالمنطقة..

وبعد تقويم هذه الأعمال، يعلن المؤلف أنه ما كانت نيته في هذا العمل أن يضيف مروية عن بزوغ الإسلام تضاف إلى هذه المرويات أو تبزُّها، وإنما قصده توفير إطلالة على البيئة المضطربة التي مكنت للإسلام؛ ومن ثمة توفير إمكان فهم كيف تشكل هذا الدين وثقافته. وهو يقر، نظير سابقيه، بالفراغ الحاصل ما بين سنوات ٥٦٠ م و٦١٠ م، لكنه يؤكد على إمكان تجاوزه بالحديث عن هَبَّة الفرس الساسانيين التي بدأت مع وفاة الإمبراطور البيزنطي موريس (٦٠٢ م) وتوجت باحتلال القدس (٦١٤ م)، كما استغلت نهاية أبرهة الحبشي والجهود غير المثمرة التي بذلها أخلافه لاسترجاع سلطانه على المنطقة ... وهذه حقبة غامضة من تاريخ المنطقة فيها نشأت الرسالة المحمدية وبدأت تتطور. كما يقر المؤلف بصعوبة ثانية تتمثل في الحقبة من حكم الخلفاء الراشدين التي كانت حقبة قلاقل عبر عنها موت أغلبهم قتلا، لكنها أيضا كانت الحقبة التي صير في ما بعد إلى اعتبارها عصر الإسلام الذهبي، وذلك لأنه على الرغم من عدم الاستقرار فتح المسلمون فلسطين وسورية وشمال إفريقيا ووضعوا حجر التأسيس لأول إمبراطورية إسلامية بدأت مع الأمويين عام ٦٦١م.

على أن المؤلف يلاحظ أنه وعلى الرغم من كل مجهودات الإيضاح المتعلقة ببوتقة الإسلام، فإن هذه البوتقة تبقى سفينة بعيدة المنال، يستحيل وصفها في كل تفانينها، ولكن يمكن استخراج معالمها الأساسية. ولفعل ذلك، يطلب منا إعمال الاعتدال المنهجي: لا نصدق بكل مرويات الأقدمين، على علاتها؛ ولا نشكك فيها كل التشكيك، على مزاعمها. كما يرى أنه ينبغي أن نضع حدا للنزاعات التي قسمت كبار المستشرقين الكلاسيكيين حول هذه الحقبة، وذلك بتجاوز منهج «لا شيء غير النص»؛ إذ ما كان هذا المنهج طريقا سالكا بالتمام إلى إلقاء الضوء على عصر مدلهم. فلا يمكن تفسير القرآن بالقرآن وحده دون الاستعانة بالمصادر الخارجية، لا ولا يمكن رفض الاستعانة بالقرآن بتعلات عدة والاكتفاء بالمصادر اليهودية والنصرانية حول أصول الإسلام، لا ولا يمكن الطعن جملة وتفصيلا في كتابات المؤرخين المسلمين المتأخرة.

ويلخص المؤلف مضمون كتابه في كونه محاولة لبسط ووصف البيئة الثقافية والاجتماعية المعقدة التي تمخضت عنها ديانة جديدة (الإسلام)، حيث كانت تعيش منذ قرون خوالٍ اليهودية والنصرانية والوثنية. وهي محاولة لا تدين فقط إلى إعمال منهجية واحدة، وإنما إلى تقليد كلاسيكي دشنه المفكر وعالم اللاهوت والناقد النصي الإنجليزي ريتشارد بينتلي (١٦٦٢-١٧٤٢) . هو تقليد التفكير النقدي في مواجهة ما تم تلقيه، أكان صحيحا أم خاطئا، باعتباره واقعة جرت بالفعل.

الفصل الأول

مملكة أبرهة في شبه الجزيرة العربية

يحكي هذا الفصل عن وضع المنطقة عشية قيام الدعوة المحمدية، وعن سياسة التحالفات التي كانت تحكمها، وعن حكم آل أبرهة ومصيره. ويذكر كيف أنه خلال حولين من الزمن تقريبا نشأت دولة، يهودية أولا ثم نصرانية أعقبتها، في حمير (اليمن الحديث)، وكان حكامها في خلال ١٤٠ سنة قبل حلول القرن السادس الميلادي عربا تحولوا إلى اليهودية، وكيف أنه لأسباب غير معلومة إلى اليوم حمل الحبشيون (وهم نصارى) على شبه الجزيرة العربية الوثنية من مدينة «أكسوم» أواخر سنوات التسعينات من القرن الخامس الميلادي، لكن سرعان ما أعيد حكم العرب اليهود بعد تذبيح نصارى نجران؛ مما تسبب في عودة الحبشيين من جديد عام ٥٢٥م، وإقامة مملكة نصرانية تحت إمرة أبرهة الحبشي لحوالي أربعين سنة. لكن بعد وفاته، أعاد الفرس مجددا سيطرتهم على شبه الجزيرة العربية بدعوة من العرب أنفسهم.

يبدأ الفصل بالحديث عن السمات الجغرافية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمنطقة، لكنه يقف عند السمة السياسية . وهي الأبرز . ذلك أن المنطقة ملتقى قوى عظمى نافذة: البيزنطيون كانوا في فلسطين وسورية فإلى الشمال، والفرس الساسانيون كانوا هيمنوا على بلاد ما بين الرافدين إلى إيران اليوم في الشرق الجنوبي... دون أن ننسى التجارة العالمية النابعة من البحر الأحمر إلى الغرب والمنتهية إليه، وكان التجار يبحرون من المحيط الهندي فبين الخليج الفارسي فإلى الجهة الشرقية من شبه الجزيرة العربية وموانئ مصر والحبشة. وهذا يعني أن القوتين العظمتين ما كانتا لتجهلا الدور الاقتصادي لشبه الجزيرة العربية منذ أمد.

ولقد كانت المنطقة برمتها حافلة بعبق التاريخ وبذاكرة من التقاليد: مملكة النبط، مدائن صالح، يثرب، مكة ... وحتى قبل دخول البيزنطيين والفرس كانت للرومان عين على ما يجري في المنطقة وطرقها التجارية، ثم حدث الغزو الحبشي بدءا من حمير ... وتحول الحبشيون من وثنين إلى نصارى. وكانت السياسة الغالبة على المنطقة سياسة التحالفات: سعى البيزنطيون إلى كسب حلفاء عرب لصالحهم (الغساسنة)، وكذلك فعل الفرس (اللخميون) ... ولما شرع ملوك حمير اليهود باضطهاد النصارى، أثار ذلك حفيظة نصارى الحبشة فعادوا إلى غزو المنطقة بعد أن هجروها زمنا. وكانت غزوة الجنرال أبرهة

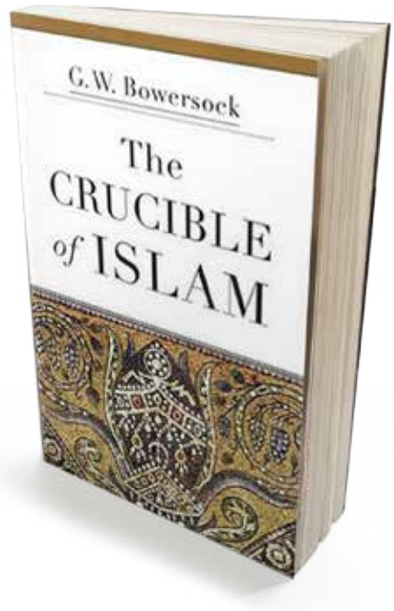

الذي توج نفسه ملكا على ذي ريدان وسبأ وحضرموت ويمنت ... وعلى قبائل عربية شأن تهامة ... معلنا نهاية اليهودية باعتبارها ديانة دولة من دون أن يفرض نصرانية الحبشة على المنطقة بل بقيت نصرانيتها تابعة لبيزنطة، مستعملا اللغة السريانية لا الحبشية، بانيا «البيت» «الكنيسة: كنيسة صنعاء «القليس» التي صار يحج إليها»؛ مما شكل منها منافسة لمكة. ويكون عام الفيل، وتبقى طير أبابيل سراً من الأسرار، في عرف المؤرخ. لكن بعد وفات أبرهة وفشل ابنه في الحفاظ على ملكه ترك فراغًا مهولا استغله الفرس وعادوا إلى البلاد متحالفين مع أهل الحيرة، لكنهم ما فرضوا زرادشتيتهم على قبائل العرب. على أن الحدث المؤلم كان مذبحة نصارى الجزيرة حلفاء البيزنطيين حوالي سنة ٥٦٠ م ... غير أنه لا إمبراطور بيزنطة ولا شاه بني ساسان كانا يتخيلان أدنى تخيل إمكان بروز نبي في مكة غير مجرى تاريخ العالم.

الفصل الثاني

الوثنية العربية في العصور القديمة المتأخرة

يفتتح هذا الفصل على خضوع المنطقة إلى سلطة الفرس من بني ساسان، حيث انتهى عهد مملكة التوحيد (اليهودية والنصرانية). وقد ترك اليهود والنصارى بلا رعاية دولية، لكنهم استمروا على عباداتهم كما في صنعاء وظفار (النصارى) وفي ظفار ويثرب (اليهود). بيد أن الأصل في سكان شبه الجزيرة العربية كان الوثنية، وكان حرمهم بمكة، فضلاً عن دومة الجندل والطائف. وعلى خلاف ما يعتقد، لم يقض التوحيد، في البداية، على الوثنية القضاء المبرم؛ لأن في إطار وثنية العرب كان ثمة إله بينهم اسمه «الله»؛ بما يوحي بضرب من «الوحدانية الوثنية» أو «الوثنية الموحدة» ... ويلح المؤلف على أنه ما كانت ثمة قطيعة مطلقة بين الوثنية والتوحيد، كما يُتصور عادة، وأن ثمة تشابهاً بين آلهة العرب وآلهة اليونان، وأن فكرة الملائكة مقتبسة من «الألوكة» التي تعني «الرسالة» بمعناها الإغريقي.

ثم يستعرض المؤلف آلهة العرب ووظائفها (اللات والعزة ومناة ...) ويقارنها بآلهة الإغريق ووظائفها (أفروديت وزوس ...).

وينتقل بعد ذلك إلى الحديث عن منافسي النبي محمد من دعاة النبوة، ويشير إلى مسيلمة الذي ما كان أول نبي موحد بشبه الجزيرة العربية.

ويخلص إلى أنه ما كان من السهل اقتلاع جذور الوثنية من المنطقة بعد أن هيمنت عليها الفرس ... وأنه كان على محمد التعامل مع الوثنيين. لقد كانت للعرب آلهة، كل منها له دور، ولا أحد جعل الآخرين من الآفلين.

الفصل الثالث.

مكة في العصور القديمة المتأخرة

هذا فصل خصص لوصف مكة: منطقة آمنة عزلاء مُحاطة بالجبال، ومنطقة مقدسة، وملتقى التجارة تمامًا كالبطحاء.. لا أحد يعلم متى بنيت الكعبة حتى وإن نُسب بناؤها إلى إبراهيم. ولا أحد يمكن أن يقول ما إذا كان «هبل» أول إله عُبد بها. لكن على عهد محمد كان «الله» إله المدينة الأساسي. هل تشوركت عبوديته مع عبودية هبل؟ هذا أمر مُحير ملغز. لم تستقر قريش بمكة إلا أجيالا قليلة. ولم استقرت؟ أمر محير. كانت مكة مجمع الآلهة: الله، هبل، اللاتَ، مناة...

ويراجع المؤلف الصورة التي لطالما رسمت حول مكة: مدينة تجارية بالأولى، ويستعرض آراء المستشرقين المؤيدين والمعارضين: لامنس، وات، سيرجنت، كرون ... ثم يعرج على الحديث عن النبي محمد وعمن وجدوا في نفس وضعه ممن تنبؤوا. ويشير إلى الغموض الذي يكتنف حياة هؤلاء، لكن يرى أنه على أية حال من المؤكد أنَّ الوحي الذي نزل عليه هو الذي انتصر في النهاية. فلا مُسيلمة الذي ما كان مجرد كاهن، بل أكثر يدعي أنه يتلقى الوحي بدوره من جبريل، ويدعي أن له قرآنا مستقلا (بقي منه ٣٣ آية تشبه القرآن ولا تشبهه)، ولا الأسود العنسي الذي صنع بدوره قرآنه الخاص، كلاهما جوبها من لدن أول خليفة في الإسلام أيام ما سُمي «حروب الردة»، وما كانا، في رأي المؤلف، بالمرتدين، بل بالمُنافسين كانا أشبه. وما أنكر مسيلمة نبوة محمد وإنما طلب الشركة فيها (المدينة/اليمامة)، وهذا ما أشارت إليه مراسلة مسيلمة ومحمد . التي تشي بتنافس الأنبياء . حتى وإن حامت الشكوك حول صدقيتها.

عنوان الكتاب: The Crucible of Islam

اسم المؤلف: G.W. Bowersock

لغة الكتاب : الإنجليزية

دار النشر : هارفارد

سنة النشر: ٢٠١٧

عدد الصفحات: ٢٢٠

عدد الفصول: تسعة، فضلا عن مقدمة، ولائحة مصادر ومراجع، وكشاف ..

*** أكاديمي مغربي**

«عصر المسؤولية».. ليوشا مُنك

علي الرواحي *

مُنذ البداية -في المقدمة، وعلى مدى خمسة فصول مع خاتمة- يسعى مُنك إلى إثبات وجهة نظره القائلة بأننا نعيش في عصر المسؤولية الفردية؛ وذلك من خلال مسارين متوازيين: المسار السياسي والفلسفي على حد سواء؛ حيث إن هذه الفكرة -فكرة أننا نعيش عصر المسؤولية- ليس مبالغا فيها حسب قوله، بل لها الكثير من الشواهد والأدلة؛ وذلك من خلال المناظرات والتنظيرات الفلسفية في العقود الأخيرة من جهة، والخُطب والمشاريع السياسية من الجهة الأخرى، التي يعود إليها مُنك بشكل مستمر، ومتواصل، وهو في ذلك يتحدث عن منطقة جغرافية وحضارية معينة، مُركزا في ذلك على صعود هذا الخطاب في أمريكا وأوروبا تحديدا. غير أن هذا المصطلح ليس واضحا بما فيه الكفاية كما هي الحال في مصطلحات أخرى كالديمقراطية، والحرية وغيرهما (ص:٤)، فهو يستخدم بمعان كثيرة، وملتبسة، وهذا يؤدي إلى التباس في المعاني عند الحديث عن هذا الموضوع، غير أنه وفي المقابل نجد أن هناك رغبة في تحديد إطار وحدود هذا المصطلح، ففي ظل وجود دولة الرفاه، أصبحت الكثير من المهام مناطة بالدولة؛ بحيث أن المواطن يعبر عن رغبته بالطرق المتعارف عليها لتأتي الدولة لتنفيذ ذلك، في حين أن ملامح هذا الإطار تتلخص في جانبين:

١- إذا كان شخص ما مسؤولا عن نتيجة فعل سيئ قام به أو اقترفه، فإنه يطلب مساعدة من الآخرين.

٢- كنتيجة لذلك، فإنه يطرح تساؤلا حول أحقيته بهذه المساعدة أو أن يتحمل مسؤولية فعله.

يَضَعنا هذا الإطار أمام عدد من السمات المختلفة؛ ففي المقام الأول نجد أن هذا الإطار يضعنا أمام حساسية خاصة تجاه بعض الأفعال، التي بدورها تجعلنا نطرح تساؤلا حول نتائجها؛ حيث إنها تجعلنا نتناسى أسباب هذه الأفعال، لنقوم بالمساعدة والبدء بزمام المبادرة الشخصية. وفي المقام الثاني، يجلب لنا هذا الإطار تساؤلا حول سياق هذا الفعل أو ذاك، وتناسبه مع المعايير المتعارف عليها؛ مما يعني أن هذه الحجج والتساؤلات تضعنا أمام اعتبارات مختلفة ولغة تبدو قديمة كما هي الحال عند التعبير عن واجبات دولة الرفاه، أو العدالة في الجريمة، أو غيرها من المصطلحات الجديدة. أخيرا، وفي المقام الثالث فإن هذا الإطار يسعى لمساعدة كل شخص يرغب بمساعدة الفقراء والاهتمام بمصيرهم، وتوفير متطلباتهم التي تسعى للتغلب على الكثير من العوائق والمصاعب.

وفي هذا السياق، وبهدف التغلب على العوائق أو الأفكار الخاطئة التي رافقت هذا المصطلح منذ فترة طويلة؛ حيث تم تقليصه ليعني في جوهره المبدأ العقابي (ص:٢١)، غير أنه ومع مرور الوقت أصبح المصطلح يعني الارتباط بالحقوق، والسلوكيات المسؤولة رغم أن هذه المعاني الجديدة ليس من السهل قبولها أو تداولها في الفضاء العام؛ ذلك أنه وعن طريق بناء هذه اللغة والمعاني الجديدة أصبح من الممكن تشييد رؤية جديدة لقواعد الاختيار، والفعل الفردي في المجتمع. فمن المهم جدا هنا أن يشعر الكثير من الأشخاص أنهم يتحملون مسؤولية أنفسهم، وأن أفعالهم تعود لاختياراتهم التي من خلالها يتعاملون مع العالم، ويتفاعلون معه. كما أنه وعلى مستوى المواطن فإن هذا المصطلح يجعله يشعر بالمسؤولية الكاملة عن الأفعال والاختيارات على مختلف الأصعدة والمجالات. تقود الرؤية الإيجابية للمصطلح الكثير من الأشخاص للنظر إلى الخارج، والشعور بالفخر بالنفس أو الثقة بالنفس، وذلك عن طريق القيام بتفاصيل الكثير من أمور الحياة كما هو الشأن في الرغبة بإنجاب الأطفال، أو تربية الحيوانات. كما أنها تجعلهم يكرسون الكثير من حياتهم في الأعمال التجارية أو الأعمال الخيرية، أو في المقابل، للرياضة أو للفن. وفي كل ذلك فإن الأشخاص يتحملون مسؤولية أفعالهم أو مشاريعهم الشخصية والجماعية على حد سواء. يعكس الموضوع أيضا وبناء على التصور الإيجابي للمصطلح تلك الرغبة العميقة من قبل أفراد المجتمع في الشعور بالمساواة، والتخطيط لمستقبل الدولة ومؤسساتها المختلفة؛ فالنقلة التي حدثت من عصر «ما قبل السياسة» أو «ما قبل الدستوري» إلى «السياسي» أو «الدستوري» كانت بمثابة مسوغ لنشوء دولة الرفاه.

وفي الفصل الأول والمعنون بـ«جذور أو أصول عصر المسؤولية» (ص:٢٩)، يسعى مُنك إلى توضيح معالم أو ملامح هذا العصر والنقلة المفاهيمية الجديدة لهذا المفهوم والتي أصبحت موازية للمسؤولية الفردية أو المسؤولية تجاه الآخرين في نفس الوقت، وذلك من خلال مجالين واسعين: المجال السياسي، والمجال الفلسفي أيضا.

ففي المجال السياسي، نجد أن خطاب الحرية قد ازدهر في سنوات ما بعد الحرب الباردة في الغرب، وهو يهدف إلى مقابلة الوضع الاجتماعي والسياسي بين الاتحاد السوفييتي سابقا والعالم الغربي «الحُر»؛ حيث انعكس ذلك بشكل كبير على خُطب ودعوات القادة في تلك الفترة الذين كانوا يشجعون هذا النوع من الخطابات والدعوات في مقابل التخويف من الأوتوقراطية أو الحكم الواحد في الكثير من مناطق العالم، وقد اتضح بشكل جلي في خطابات الرئيس الأمريكي جون كيندي، ذلك أن السلوكيات الحرة لا يمكن القيام بها بشكل منفرد بل تستدعي العلاقات الاجتماعية، والتجمعات المختلفة التي بالضرورة تكون مشبعة بحس المسؤولية؛ الأمر الذي جعل بعض الكُتّاب والباحثين يذهب إلى أن «الكلمة المفتاحية في خطابات مارجريت تاتشر في بداية الثمانينيات كانت تدور حول الحرية والمسؤولية الاجتماعية» (ص٣٣)؛ وهو الأمر الذي ينطبق على الرئيس الأمريكي رونالد ريجان في تلك الفترة أيضا، مما جعل الشعب الأمريكي يواصل بدايات الحلم الأمريكي الذي يُشعره بأنه مختلف عن كل الشعوب. كما يشمل ذلك أيضا مقال ديفيد كاميرون رئيس الوزراء البريطاني السابق في صحيفة الجارديان حول ذلك، قائلا: إن «الكثير من الأحداث المعاصرة في الوقت الحالي تأتي من تجاهل أو عدم طرح موضوع المسؤولية من قبل السياسيين في الماضي؛ حيث إنهم تجنبوا أو تجاهلوا هذا السؤال في الفترات الماضية، لكي لا يبينوا أنهم سريعو الحكم. غير أننا لم نتمكن من إنشاء مجتمع قوي، عادل، عوضا عن تحديدهم بشكل جيد»، كما ينطبق أيضا على جورج اوزبورن في فترة توليه لمنصب المستشار البريطاني لخزانة الدولة في خطابه أمام حزب المحافظين وذلك في معرض حديثه عن ساعات العمل

الطويلة التي يقضيها العُمال في المصانع منذ الفجر إلى غروب الشمس دون أي إحساس بالمسؤولية تجاههم وتجاه معاناتهم اليومية المستمرة.

إذا كانت النقلة التي حدثت في هذا المصطلح من اعتباره واجبا إلى اعتباره مسؤولية ومحاسبة والتي بدأت مع تاتشر وريغان مطلع الثمانينيات من القرن الماضي، فإن ما وراء هذا الاهتمام العام المتمثل في الخُطب السياسية من قبل القادة تنظيرات الكثير من المثقفين التي هدفت لتعزيز هذه القيمة كما سيتضح ذلك في القسم الثاني حول الجانب الفلسفي وعلم الاجتماع وعلم الجريمة وذلك من أجل فهم هذه النقلة في المفهوم.

وفي الجانب الفلسفي، نجد أن هذه النقلة ما كانت لتحدث دون ذلك التطور الذي حدث في السياسة والفلسفة الأخلاقية في حقبة ما بعد الحرب الباردة، حيث إن الفلسفة الأنجلو-أمريكية كانت تحت هيمنة تيارين فلسفيين؛ هما: العواقبية والتي تنظر للعواقب فقط، والتعاقدية. ففي الحالتين كانتا تنظران للمسؤولية بوصفها واجبا. غير أنه واعتبارا من بداية العام ١٩٧٠م أصبحت الفلسفة العواقبية خارج موضة التفكير والتفلسف (ص:٤٢). كما نجد أنه في نصف القرن الماضي كانت الفلسفة النفعية تهيمن على نموذج الفلسفة التحليلية، وذلك من خلال الآراء المتفقة معها، أو تلك المُضادة لها.في الجانب الآخر، يعتبر كتاب الفيلسوف الأمريكي جون راولز «نظرية في العدالة» الكتاب الأبرز في هذا المجال والذي يعتبر معارضا بشكل جذري وأساسي للفلسفة النفعية، والذي أسس لنمط فلسفي جديد؛ الأمر الذي قام بنقلة نوعية في فهمنا لطبيعة مبدأ المسؤولية.

وإضافة لذلك، نجد أنه وبعد فترة ما بعد الحرب، وتحديدا في علم الإجرام (ص:٦١) تم التركيز بشكل مبدئي على دراسة أسباب وجذور الجريمة، وذلك من خلال التركيز بشكل بنيوي على بعض الأسباب كالفقر، وسلبيات التعليم، غير أنه نادرا ما تم الالتفات لأبعاد خرق القانون وتجاوزه، ذلك أنه تم النظر للجريمة ليس على أنها اختيار فردي من ضمن خيارات أخرى، بل كفعل حتمي لا مفر منه يتعلق بصفات النظام الاقتصادي الرأسمالي المُعاصر. حيث تعزز هذا الشك في مسؤولية الإنسان عن أفعاله بشكل كبير، بسبب وجود مسوغات كثيرة للعقاب؛ وذلك عن طريق الكتاب الشهير للفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو في عام ١٩٧٥م، بعنوان «الضبط والعقاب»، والذي ذهب فيه إلى أن السجن يعتبر موضعاً مهُما لممارسة السلطة السيادية عوضا عن الوقاية من الجريمة.

وفي الفصل الثاني (ص:٧٠) -والمعنون بـ«دولة الرفاه في عصر المسؤولية»- يناقش مُنك التحولات التي طرأت على مفهوم دولة الرفاه والنقلة المصاحبة له؛ حيث إن هذه النقلة قد حدثت في البحوث الأكاديمية أو في خُطب القادة إبان الانتخابات السياسية، والتي أثرت بدورها في مهام دول أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية في العقود الأخيرة. وتحديدا عندما

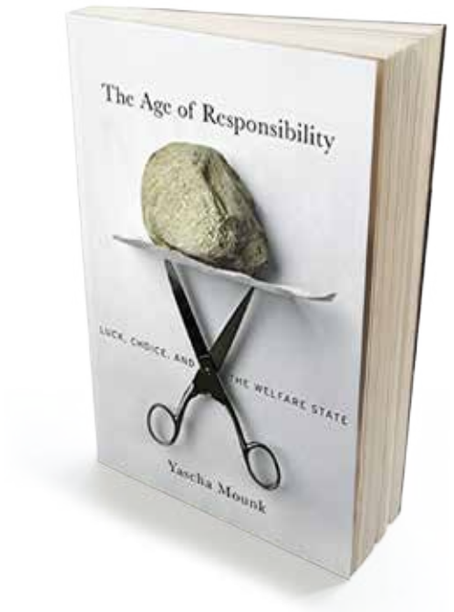

شعر عُلماء السياسة والاقتصاد بشيء من القلق فيما يتعلق بأزمة دولة الرفاه في فترة ما قبل التسعينيات من القرن الماضي، حيث إن الأزمة قد تعمقت مع ازدياد تكاليف دولة الرفاه، وبشكل خاص مع انخفاض معدل المواليد من جهة، وزيادة معدل المتقاعدين من الجهة الأخرى. في الجانب الآخر أدت زيادة أعداد كبار السن في هذه المجتمعات لزيادة تكاليف الرعاية الصحية، كما أدى ازدياد أعداد العاطلين عن العمل الى رفع التكلفة من الجهة الأخرى؛ الأمر الذي أدى بدوره لحدوث تحولات وتغيرات جذرية في السياسات المختلفة للدول والرعاية الاجتماعية بشكل خاص نتيجة لزيادة المصاريف والنفقات على الخدمات العامة بشكل كامل، غير أن هذه التحولات واجهت مقاومة من قبل الكثير من الناخبين والجمهور. وهو ما جعل الكثير من الأسئلة تُطرح من قبل العديد من الباحثين المتفقين مع هذه التحولات أو عكس ذلك، ومن ضمنها وأهمها: هل هذه التغيرات تجميلية شكلية أم تحويلية عميقة؟ وهل تُسهم هذه التحولات في تآكل المهمة الأساسية لدولة الرفاه؟ أم أنها تقوم بعملية إصلاحية؟ لاشك أن هذه الأسئلة حجاجية من الدرجة الأولى، فهناك الكثير من المتفقين معها من جهة والكثير من المختلفين معها من الجهة الأخرى، فهي تثير مسائل مثل المساواة بين المواطنين وهي المسألة المطروحة سابقا في الفصل الأول.

وفي مقابل ذلك، يطرح مُنك في الفصل الثالث (ص:١٠٠) وجهة النظر المعارضة لمفهوم المسؤولية وتبعاته المختلفة على الجميع؛ وذلك بعد صعود وهيمنة اليسار الذي طرح سؤال حول إمكانية القول بأن فعلا معينا يتسم بالمسؤولية الكاملة. وهو الأمر الذي ولد تصورا خاطئا حول هذا الموضوع من قبل السياسيين والفلاسفة المعارضين لفكرة المسؤولية بشكل كامل، حيث أثّر ذلك بشكل كبير على صناع القرار على اعتبار أن الكثير من الأشخاص يقومون بأفعالهم بدون مسؤولية كاملة. ذلك أن معظم الانتقادات والردود تمحورت من قبل اليسار لهزيمة أو قهر هذا التوجه؛ وذلك من خلال مناقشة مسألة الحظ السيئ والسياسة، وبشكل محدد بعد صدور تقرير بعنوان «الحرب ضد الفقر بعد ٥٠ عاما» في مارس ٢٠١٤م، الذي أوضح الأسباب المختلفة لاستمرار الفقر في أمريكا بشكل بنيوي عميق، والتي تعود -بحسب التقرير- إلى نقص في التعليم المتوفر، وعدم فاعلية التدريب في رأس العمل التي لا تتواءم مع التغيرات في سوق العمل.

تكرَّرت هذه الحجج والكثير غيرها، والتي تعزو استمرار الفقر لهبوط وتدني ثقافة العُمال، والأجيال اللاحقة تلك التي لا تقيم وزنا للتعليم ولا للتدريب ولا للعمل، مما يعني أنه من الضروري التعامل مع هذه الثقافة التي انتشرت بشكل كبير في المجتمع؛ وذلك بعد تصريح معُد التقرير في العام ٢٠١٤م، والذي أثار الكثير من ردود أفعال اليسار حول العلاقة أو الربط بين المسؤولية المفترضة للفقر وطريقة التعامل معه، ففي هذه الحالة تعود الأوضاع الاجتماعية للفقراء إلى الحظ السيئ واختيارات الأشخاص التي لم تساعدهم على تحسين أوضاعهم المعيشية وليس إلى شيء آخر، وهو ما سلط الضوء وفتح التساؤلات في المقابل حول سلوكيات الأثرياء.كما تذهب بعض هذه الردود الأخرى إلى أن سبب الفقر يعود الى كساد ٢٠٠٨م، وتلك الآثار التي خلفها على الأسر، وذلك نتيجة للفساد والاحتيال المالي والسلوكيات المقننة من قبل بعض مكاتب الانتخابات الرسمية التي استغلت بدورها هذه الأوضاع المالية الحرجة للأشخاص.

وفي ختام هذا العمل، يتحدث مُنك عما وراء مفهوم عصر المسؤولية، حيث إن كل مفهوم أو تصور سياسي يسترعي انتباهنا لوجود بعض المزايا فيه، حتى وإن كان يحيط به الغموض بنفس قدر أهميته، وهو ما يستدعي تسليط المزيد من الأضواء والاهتمام به، أو إعادة تأويله والحديث عنه، وهو ما يطرح السؤال حول مدى حاجتنا لهذا المفهوم من جهة، وكيف من الممكن بناء أو إعادة بناء الكثير من التحفيز أو إقصاء بعض المفاهيم المغلوطة عنه كما هي الحال في اعتباره المسؤولية بوصفها عقابا أو محاسبة. الأمر الذي يجعلنا نعيد النظر أو نقوم بتقييم أداء الأشخاص في الفترات الماضية، وهل يستطيعون السيطرة على أفعالهم الفردية وحياتهم بشكل كُلي.

- الكتاب: «عصر المسؤولية: الحظ، والاختيار، ودولة الرفاه».
- المؤلف: يوشا منْك.
- الناشر: Harvard University Press, 2017.
- لغة الكتاب : اللغة الروسية.
- عدد الصفحات: ٢٨٠ صفحة.

***كاتب عماني**

«كتائب العقاب في الحرب الوطنية العظمى» .. لفلاديمير داينيس

فيكتوريا زاريتوفسكايا *

تناول هذا الكتاب مسألة ما دُرج على تسميته بـ«كتائب العقاب»، وهي وحدات عسكرية تشكلت في الاتحاد السوفييتي إبان الحرب العالمية الثانية (ويطلق على هذه الحرب في روسيا: الحرب الوطنية العظمى، وذلك لفداحة ما خلفته من دمار وسقوط ملايين الضحايا من المواطنين الروس). وقد ظلت الكتائب هذه، ولردح زمني طويل، بعيدة عن الدراسة ومحظورة على المناقشة العلنية. ولكن في النصف الثاني من ثمانينيات القرن الماضي، بدأت الأضواء الكاشفة تتسلل إلى هذه المسألة، وذلك حينما أرخت سياسة البيريسترويكا (ومعناها حرفيا: إعادة البناء) في زمن ميخائيل جورباتشوف، آخر الرؤساء السوفييت، أرخت من قبضتها على العديد من الملفات والقضايا «غير المريحة» للسلطات وسمحت بملامسة «البقع السوداء» في صفحة التاريخ الحديث. ومع ذلك ظلت قضية كتائب العقاب في الجيش الأحمر، وحتى وقت قريب، من القضايا التي لم تشملها دراسة علمية جادة، إما لسبب قلة المؤرخين العسكريين المنخرطين في المؤسسات العسكرية التابعة لوزارة الدفاع الروسية، وهي الجهة الماسكة بملف الكتائب المذكورة، أو للخصوصية التي تكتنف هذه المسألة وعزوف المؤسسة الرسمية آنذاك عن إطلاقها للملأ؛ حيث لا بد من موافقة الجهات الرسمية لتناول المواضيع التي تخص الحرب الوطنية العظمى. بهذا الصدد يقول مؤلف الكتاب الذي بين أيدينا، فلاديمير داينيس الرئيس السابق لقسم التاريخ الوطني العسكري في معهد التاريخ العسكري لوزارة الدفاع الروسية: «كانت هناك قائمة من البحوث تقوم مؤسسات الدولة والقوات المسلحة بطلب إنجازها؛ وذلك للخلوص إلى الاستنتاجات اللازمة والمفيدة من تجربة الحرب الوطنية العظمى، لا سيما فيما يتعلق بالخبرة الهجومية والدفاعية واجتياز العقبات...إلخ. أما بالنسبة لكتائب العقاب، فلم تكن للمؤسسة حاجة لنبش سيرتها ولا مصلحة لها في ذلك» (ص:٣).

وبالرغم من الصعوبة التي ينطوي عليها طرح هذه القضية للرأي العام؛ صعوبة أن تقول لمجتمع مثل المجتمع الروسي الذي اكتوى بنيران الحروب في القرن العشرين، إن جيوشه التي قاتلت لدحر الأعداء ووضعت لحماية الوطن، استخدمت كتائب بشرية وجعلتها ألوية طليعية وألقتها إلى مناطق الخطر والموت، بالرغم من ذلك، فإن المسألة ما برحت توقظ الواعز الأخلاقي وتحفز الحس التاريخي من أجل تقصيها والوقوف على تفاصيلها من مختلف الجوانب. وفي الآونة الأخيرة، ظهرت مذكرات للجنود المشاركين في الحرب الوطنية العظمى، ومن بينهم من قاتل في كتائب العقاب أو قادها أو شارك في تشكيلها. كما تنشر الصحف بين الحين والآخر مقالات حولها وتنتج الشركات الفنية عنها الأفلام. وبتزايد تلك المواد، المكتوبة منها والمصورة، تزايدت القصص المنسوبة إلى كتائب العقاب، وترددت عنها الخرافات، فتحولت إلى أكثر الصفحات غموضا في التاريخ المأساوي للحرب الوطنية العظمى. ومن القصص التي نُسجت حول هذه الكتائب يسوق المؤلف بعض المشاهد؛ ومنها: «إن الإرسال إلى كتيبة العقاب كان بمثابة سجن عسكري، وإن الجيش السوفييتي كان يستخدم هؤلاء المساجين للاستشعار الميداني؛ حيث يرسلهم إلى المناطق الأكثر خطورة؛ فمُسحت بهم حقول الألغام بدلا عن الأجهزة المتعارف عليها لهذا الغرض، وزج بهم إلى خطوط الدفاع الألمانية الشائكة. وقد كان أفراد هذه الكتائب من المجرمين وأصحاب السوابق، وتمت معاملتهم بقسوة مفرطة، فلا يقدم لهم الطعام الكافي ولا وقود التدفئة ولا الأسلحة. وإن حاولوا التراجع أو الهرب، تلقفتهم بنادق أفراد وزارة الداخلية الذين يتمترسون خلفهم. وفقط بفضل استخدامهم غير الإنساني هذا، تم تحقيق النصر في الحرب».

ويحاول فلاديمير داينيس -في دراسته- استخلاص الحقائق من هذا الكم الكبير من القصص وتنظيمها في سياق منطقي يؤدي لقراءة متزنة لهذه الصفحة الروسية من تاريخ الحرب العالمية الثانية.

ومنذ الصفحات الأولى للكتاب، يدحض داينيس الرأي القائل: إن روسيا هي منشأ كتائب العقاب، وأنها اختراع روسي محظ، ظهرت في القرن العشرين نتيجة النظام الشمولي الستاليني الذي يثير ذكره الرعب في أفئدة الحقوقيين اليوم. وبهذا الصدد يقدم داينيس منظوره التاريخي، لافتا إلى ظهور مثل هذه الكتائب في روما القديمة؛ حيث طبقت عقوبات شنيعة على الجنود، من بينها التخلص من الضعفاء الذين لا يقدرون على العدو كغيرهم. وفي وصف معركة تيرموبيل (٤٨٠ قبل الميلاد) نتعرف على فصائل الجنود الذين تطعنهم الرماح من الخلف لدفعهم إلى ميدان القتال.

وفيما يتعلق بروسيا فقد أدخلت كتائب العقاب لأول مرة بشكل نظامي في الجيش الأحمر خلال الحرب الأهلية (١٩١٧-١٩٢١)؛ وذلك عقب الثورة البلشفية التي أسفرت عن إحلال السلطة السوفييتية على الأراضي الروسية قاطبة. ويكرس المؤلف فصلا مستقلا من كتابه للظروف التي ظهرت فيها الكتائب في فترة مرعبة من التاريخ الروسي الحديث.

وفي تتبعه التاريخي لهذه الظاهرة، ينسب المؤلف تشكيل أول كتيبة للعقاب إلى الخصم الأيديولوجي الكبير والعنيف لستالين، ليون تروتسكي الملقب بـ«بونابرت الأحمر»؛ وذلك حينما كان يشغل منصب رئيس الدوائر

العسكرية السوفييتية. أما عن سبب لجوء تروتسكي إلى هذه التشكيلة من المحاربين، فمرده القلق الذي ساوره إزاء تباطؤ تقدم الجيش الأحمر، وأيضا حينما نمى إلى علمه هروب بعض المنضوين إلى الجيش. وكان هو الذي صاغ الفكرة التي تتلخص في أن الخوف من أحكام المحكمة العسكرية يجب أن يكون أشد وقعا من الخوف من الموت في المعركة. وبناءً على ذلك، كان يُزج بالفارين من الخدمة العسكرية إلى كتائب العقاب التي كان عليها أن تبرهن ولائها للسلطة السوفييتية بإلقاء نفسها في مهاوي الردى. ولتبرير ضرورة القسوة باعتبارها شرطا لتفوق الجيش الأحمر، يقتبس المؤلف كلمات كتبها تروتسكي وتشرح رؤيته لعقيدة الحرب: «لا يمكنك بناء جيش دون قمع. ولا يمكن دفع الناس إلى ساحة المعركة، والموت، من دون مواجهتهم بعقوبة الإعدام إن رفضوا ذلك (...) إن بناء الجيوش وخوض المعارك يتم فقط بوضع الجنود بين احتمال الموت في ساحة القتال أو الموت في المؤخرة» (ص:١٨).

ومن أجل التأكيد على أن ظاهرة كتائب العقاب ليست ممارسة روسية محضة، يكرس المؤلف فصلا آخر من كتابه لتجربة عدو الاتحاد السوفييتي في الحرب العالمية الثانية، أي ألمانيا الفاشية، فيكتب: «كان للجيش الأحمر أساتذة في هذا المجال، وبالذات من أعدائه في الجيش الألماني (...) فإن كان الجيش الأحمر قد رفض هذه التشكيلات رفضا قاطعا عام ١٩٣٤، فإن القوات المسلحة الألمانية قد أقدمت على تشكيل فصائل مماثلة بعد ذلك بسنتين. كان يطلق عليها تسمية مختلفة ولكن ذلك لم يغير من حقيقتها (...) وكان مصير الشخص الذي يرفض الخدمة العسكرية لأسباب سياسية، بما في ذلك انتماؤه إلى الحزب الشيوعي الألماني، الخضوع لتلك العقوبة الخاصة. وبالفعل دخلت القوات الألمانية أراضي الاتحاد السوفييتي بعدد من تلك الكتائب. وفي العام ١٩٤٢ كان لديهم مئة كتيبة من هذا النوع تحمل رمز «٩٩٩» تم تشكيلها من المجرمين ومخلي النظام (...) وفي نهاية الحرب حينما انتقلت ساحة المعركة إلى الأراضي الألمانية، استخدمتهم قيادة القوات الألمانية على أوسع نطاق (...) وكان الجنود السوفييت يصادفون باستمرار الجنود الألمان المقيدين بالسلاسل إلى المدافع الرشاشة أو إلى الكرسي في قمرة الدبابات» (ص:٤٠-٤٤).

يرسم الكتاب صورة مفصلة عن اللحظات الحاسمة في الحرب العالمية الثانية عندما فشلت جميع المحاولات السوفييتية الهجومية لصد الألمان الذين فازوا بمدينة دونباس الإستراتيجية، وبدأوا التقدم إلى نهر الفولغا. يومها فقط استقر قرار ستالين على تشكيل كتائب العقاب. ويستشهد المؤلف بالعديد من الوثائق

المتعلقة بالمسألة والتي تحدد مهام هذه الكتائب، ويشير الكاتب إلى أن تشكيل هذه الكتائب يأتي ضمن سياق القرار الأسطوري المعروف برقم «٢٢٧» الذي حمل أخطر الشعارات في تلك المرحلة الحاسمة من الحرب، ألا وهو شعار «لا خطوة إلى الوراء»، ومن المعروف أن القرار الستاليني هذا كان له الفضل في تحويل مجرى الحرب تماما وجعله لصالح السوفييت. ومن بين الإجراءات التي اتخذها ستالين في تلك اللحظة المصيرية، عدم التسامح مع القادة الذين تضطرب وحداتهم ويفر جنودهم من مواقعهم، تاركين الأرض للعدو. كما أعطى الأوامر بالتصفية الفورية لمروجي الذعر بين صفوف الأجناد. وقد اتسعت مفاعيل هذا القرار لتشمل المتمردين على أوامر القيادة والمخلّين بنظام الخدمات اللوجستية، ومن يدّعي المرض من الجنود للتهرب من الخدمة، والطيارين الذين يلهون بطائراتهم في الهواء، والجنود المقصرين بالتعامل مع الأسلحة والمتسببين بمقتل زملائهم.

لم يكتف الكاتب بالوثائق الرسمية لوضع كتابه، فاستعان بالشهادات الخاصة وأخذ من دفاتر المذكرات للمحاربين القدامى، مما أضفى نفسا سرديا على محتوى الكتاب وعزز من مقروئيته. فها هو أحد الشهود الذين شاركوا في الحرب الوطنية العظمى يكتب عن وقع القرار الذي رفع شعار «لا خطوة إلى الوراء» في نفوس الجنود والجنرالات على حد سواء، وردود الأفعال الإيجابية التي سرت بين صفوف الجيش وتعاطيهم للقرارات الصارمة بروح قتالية عالية. يقول الشاهد: «كان الوضع صعبا. ماذا يمكنني أن أقول؟ نصف البلاد في قبضة العدو. كنا نتحمل ما لا يطاق ونبذل قصارى جهدنا لكسب النقاط في المعارك. وقد دق القرار ناقوس الخطر في نفوسنا ونبهنا إلى أنه لا مكان للتراجع ولا لخطوة واحدة، وإلا فنحن هالكون والوطن مدمر. وهذا أمر رئيسي في مفعول القرار الذي تقبله القلب والعقل معا» (ص:٥٥).

يفند المؤرخ العسكري فلاديمير داينيس في كتابه الخرافات والشائعات التي أحاطت بكتائب العقاب، بدءا من عرض الوثائق التي تؤكد تموين كتائب العقاب بكل ما يلزم من غذاء ودواء وذخيرة، ومنتهيا بإثبات عدم القدوم على عمليات تعرض حياة الأفراد فيها للخطر. كما أنكر القول الشائع بأن الناس في الاتحاد السوفييتي قد سيقت إلى جبهات القتال تحت تهديد السلاح. علاوة على ذلك، يوضح الكاتب أن المحكومين في كتائب العقاب، وما إن ينهوا فترتهم المحددة، أو في حالة إصابتهم، لا يتم إعفاؤهم من القتال وحسب، وإنما أيضا يتم تكريمهم وتقليدهم الأوسمة البطولية إذا أبلوا ما يستحق التكريم. كما يورد المؤلف حالات بطولية كان فيها الجنود المصابون يستمرون في القتال برغم انتهاء فترتهم في هذه الكتائب.

ويدعو المؤلف في كتابه هذا إلى عدم قياس القوانين في فترة الحرب بمعايير السلم. فالأوضاع أثناء الحرب مختلفة وهي أكثر تعقيدا ويزداد فيها قدر المسؤولية؛ وبالتالي تصبح العقوبة أكثر صرامة، وما يمكن التغاضي عنه في فترة السلم، كالإهمال وعدم المبالاة، إنما هو جريمة فعلية في زمن الحرب. وينهي المؤلف مقارناته بين قوانين الحرب والسلم بأن قوانين الحرب قاسية ووحشية أحيانا، لكنها مناسبة لحالة الحرب.

وختاما.. فما سعى مؤلف الكتاب إلى تأكيده حول مسألة كتائب العقاب، هذه المسألة التي ما برحت توسع من رقعة تأثيرها ويزداد اللغط حولها، هو أن أفراد الكتائب، مثلهم مثل جميع الذين انخرطوا في الحرب، دافعوا عن أنفسهم وعن وطنهم، وقدموا مساهماتهم الجليلة في دحر العدو وتحقيق النصر، وليست الأفلام الحديثة التي تروّج لصورة مزيفة عنهم، وتظهرهم مُجرمين أشقياء لا قيمة للحياة عندهم، ليست سوى أفلام سطحية، الربح همها الوحيد، وإن كان طريقه من خلال الكذب وتزييف الحقائق.

- الكتاب: «كتائب العقاب في الحرب الوطنية العظمى».
- المؤلف: فلاديمير داينيس.
- الناشر: ويتشي، موسكو، ٢٠١٧م.
- اللغة: الروسية
- عدد الصفحات: ٤٤٨ صفحة.

*** أكاديمية ومستعربة روسية**

سر الكيبوتس: مبادئ المساواة في العالم الرأسمالي
ران أبرامتزكي

محمد السالمي *

الكيبوتس هو تنظيم اجتماعي يتحدى النظرية الاقتصادية التقليدية. من خلال تقاسم كل من الدخل والموارد بالتساوي بين أعضائه، خلق نظام الكيبوتس حوافز قوية للانتفاع مثل السيارات، أو - كما هو الحال في أكثر المُتعلمين والمهرة - للمغادرة إلى المدينة. ومع ذلك، ففي معظم القرن العشرين ازدهرت الكيبوتسات، واعتبرت حياة الكيبوتس حياة شاعرية من قبل الأعضاء والعالم الخارجي. في سرّ الكيبوتس، يمزج ران أبرامتزكي بين المنظورات الاقتصادية والأفكار الشخصية لدراسة الكيبوتس وتتناول الأسئلة التالية: كيف حافظ الكيبوتسات على المُشاركة المتساوية لفترة طويلة على الرغم من مشاكل الحوافز الكامنة؟ كيف تعامل الكيبوتسات الطوعي المتكافئ مع التحدي المتمثل في وجود عالم رأسمالي أكبر خارج بواباته؟ ما هو مستوى المساواة الذي يمكن الحفاظ عليه داخل الكيبوتس وتحت أي ظروف؟ ما هو دور القوى الاقتصادية في سلوك الكيبوتسات وفي قرارات الأعضاء؟

يقدم الكتاب دراسة رائعة حول بقاء مبادئ المساواة من خلال دراسة الكيبوتسات. فلو نتمعن قليلاً، إذا تم إعطاء الناس خياراً للعيش في مجتمع حيث تتم مشاركة جميع المداخيل والموارد بالتساوي، من سيختار هذا الخيار؟ وهل سيزدهر مُجتمعهم؟ ما هي القواعد والمعايير التي يختارونها لتحكم مجتمعهم؟ من الصعب مُعالجة هذه الأسئلة، لأنَّ الناس لا يعطون عادة خيار العيش. لا تستطيع البلدان الشيوعية السابقة مساعدتنا في الإجابة على هذه الأسئلة لأنَّ مواطنيها لم يتمكنوا من الخروج بإرادتهم ولم يتمكنوا من التصويت ضد الاشتراكية. تقدم البلدان الاشتراكية الليبرالية مثل السويد والدنمارك خيارات فردية أكثر، ولكن مبادئها الاجتماعية والمساواة هي أكثر صعوبة في الفصل عن غيرها من العوامل. في المقابل، يقدم الكيبوتس مختبراً لمُعالجة هذه الأسئلة. يشير هذا الكتاب إلى أنه في ظل الظروف المناسبة، من الممكن إنشاء مجتمع قائم على المساواة قابل للتطبيق. لقد عملت المساواة في الكيبوتس لعقود عديدة، وما زالت تعمل حفنة منها اليوم. لا شك أنَّ النظرية الاقتصادية لم تتوقف عند بوابة الكيبوتس. كيف نجا الكيبوتس؟ ووفرت المساواة في الدخل التأمين الذي تحتاجه الكيبوتس في الأيام الأولى. وساعدت المثالية وروح الفريق والثقافة في الحفاظ على المساواة، وكذلك على تجانس الأفضليات والقدرات بين الأعضاء. زيادة إلى الدعم الحكومي. لكن الأعضاء لم يعتمدوا على المثالية وحسن النية والدعم الخارجي وحده. كانت العقوبات الاجتماعية ضد المتهربين فعَّالة لأن المجتمعات كانت صغيرة وذات خصوصية محدودة. فهذا الكتاب من تأليف ران أبرمتزكي، وهو أستاذ مشارك في الاقتصاد بجامعة ستانفورد. ويتمحور كتابه حول أبحاثه في التاريخ الاقتصادي وتطبيق الاقتصاد الجزئي، مع التركيز على الهجرة وعدم المساواة في الدخل.

يتكون الكتاب من ثلاثة أجزاء في اثني عشرا فصلا. يناقش الفصل الأول من الكتاب إنشاء الكيبوتس من الناحية الآيدولوجية والاقتصادية والاجتماعية وماهي التحديات التي يواجهها. كان الكيبوتس كلاسيكيا بقواعده وبطريقته الرائعة لتمكين مجموعة من الناس من التمتع بالتأمين والمنفعة الأيديولوجية بتقاسم متساوٍ، في الوقت الذي يتم فيه التغلب على المشاكل التحفيزية المتمثلة في الاستغلال الحر (غياب الحافز للعمل بجد)، أو الاختيار (ميل العمال الأقل إنتاجية للدخول)، وهجرة العقول (نزوع أكثر الأعضاء إنتاجية إلى الخروج)، ونقص الاستثمار في رأس المال البشري (نقص الحافز للدراسة الشاقة).

أما في الجزء الثاني من الكتاب فيركز الكاتب الحديث على الظروف التي ساهمت في إنشاء الكيبوتسات ومدى تأقلمها مع تغير العوامل. في الفصول القليلة اللاحقة يناقش الكاتب مشاكل الحوافز وكيف تعامل الكيبوتس معها خلال فترة المشاركة المتساوية. يغطي الفصل الخامس مشكلة المتسابق الحر، ويناقش الفصل السادس الاختيار السلبي وهجرة الأدمغة، ويناقش الفصل السابع الاستثمار في حقوق الإنسان ورأس المال. في كل فصل من هذه الفصول، يطبق الكاتب علم الاقتصاد للمشكلة. ثم يستخدم بيانات التعداد على أعضاء الكيبوتس لاختبار مدى وجود المشكلة في الكيبوتس خلال هذه الفترة، وكيفية تعامل الكيبوتس في حال وجودها. خلاصة القول هي أنَّ هذه المشاكل كانت كلها موجودة في الكيبوتسات، ولكن كان من الممكن أن تكون أسوأ بكثير إذا لم يلغ الكيبوتس الملكية الخاصة، وتفحص الداخلين، والعقوبات الاجتماعية المشجعة. إن القواعد التي ساعدت الكيبوتسات على التعامل مع هذه المشاكل التحفيزية يمكن أن تفسر أيضاً سبب كون الكيبوتسات صغيرة، ولماذا لم يكن العديد من اليهود الإسرائيليين يعيشون في جاذبية الكيبوتس، وفي النهاية كيف نجوا من الكيبوتسات لسنوات عديدة على الرغم من مشاكل الحوافز. هل فكر مؤسسو الكيبوتس بفاعلية من خلال المبررات الاقتصادية وصمموا الكيبوتس عن قصد لتجنب المشاكل الحاسمة؟ إنه أمر ممكن. ومع ذلك، فإنه من المحتمل أيضاً أن يكون أعضاء الكيبوتس قد تصرفوا كما لو كانوا يحاولون حل مشكلات الحوافز على الرغم من أن هذا لم يكن هدفهم الرئيسي. سواء كانت هذه هي نيتهم أم لا، فإنَّ المجتمع الذي صممه أعضاء الكيبوتس كان ناجحاً بشكل ملحوظ في حل مشاكل الحوافز.

الجزء الثالث من الكتاب ينتقل إلى تراجع الكيبوتس المثقف. يبدأ الفصل الثامن بتفسير سبب تحول الكيبوتس بعيدا عن المشاركة المتساوية ولماذا لم يحدث هذا حتى التسعينيات. بدأت رياح التغيير تشعر بها في الكيبوتسات في أوائل السبعينيات. وحتى ذلك الوقت، كان أطفال الكيبوتس ينامون خارج منازل والديهم في مساكن خاصة؛ في بداية السبعينيات من القرن الماضي، حيث ألغى العديد من الكيبوتسات ترتيبات النوم الجماعية هذه وقاموا بنقل الأطفال إلى منازل والديهم. في عام ١٩٧٧، تم انتخاب حكومة يمينية في إسرائيل للمرة الأولى، ولم يعد بإمكان الكيبوتس أن يتوقع الدعم الصريح والضمني الذي اعتادوا عليه. وقد تبع هذا التطور السياسي في أواخر الثمانينات من القرن الماضي ثورة عرفت باسم «أزمة الكيبوتس». وقد تعرض عدد من عناصر الكيبوتسات للضغوط: فقد اقترض العديد من الكيبوتسات بكثافة ثم عانى من مشاكل مالية عندما ارتفعت أسعار الفائدة. إن تطوير اقتصاد عالي التقنية في إسرائيل قد يمنح مكافآت

أكبر للعمال ذوي القدرات العالية. وفي كل حين، استمر الالتزام الأيديولوجي بالجانب الاشتراكي لحياة الكيبوتس في التلاشي.

ثم يقوم الكاتب بتوثيق التحول عن المشاركة المتساوية التي جرت في الكيبوتسات على مدار العشرين سنة الماضية. لقد أدخلت شركة كيب بوتزيم درجات مختلفة من الإصلاحات، تتراوح من الانحرافات الصغيرة عن المشاركة المتساوية إلى تلك الكبيرة، حيث تعتمد ميزانية أحد الأعضاء في الغالب على أرباحها . وحتى عام ٢٠١١، ظل حوالي ٢٥ بالمائة من الكيبوتسات يحافظ على تقاسم متساوٍ تمامًا بين الأعضاء، لكن غالبية الكيبوتسات قد وضعت نموذج «شبكة الأمان»، حيث يحتفظ الأعضاء بجزء من أرباحهم ويشاركون الباقين مع زملائهم الأعضاء. على الرغم من الانحراف الكبير عن النموذج الأصلي، فإن اللغة المستخدمة في وصف الكيبوتس الذي تم إصلاحه تشير إلى أنه حتى الكيبوتسات التي تحولت عن المشاركة المتساوية لا تزال توفر شبكة أمان للأفراد المحتاجين، مما يكشف أهمية التأمين والدعم المتبادل في مهمة الكيبوتسات المستمرة. مما لا شك فيه أن شبكة الأمان كانت بمثابة حل وسط - طريقة لتحقيق الأغلبية المطلوبة للتصويت على الإصلاح «الرأسمالي» الذي أنقذ الكيبوتس. علاوة على ذلك، وكما هو الحال غالباً، كان لدى هؤلاء الذين خسروا من الإصلاحات - هنا كبار السن والعمال الأقل مهارة - مصلحة واضحة في شبكة أمان سخيّة وكان لديهم القدرة على فرضها. ومع ذلك، فإن النتيجة النهائية هي أن التأمين والدعم المتبادل يظلان مبدأين مهمين في الكيبوتس.

في الفصل التاسع، يشرح الكاتب كيف سمحت هذه التطورات الأخيرة في الكيبوتس باختبار نظرية اقتصادية لحدود المساواة. فاقمت الأزمة المالية في الثمانينات من القرن الماضي وازدهار التكنولوجيا الإسرائيلية في التسعينيات مشكلة هجرة العقول، ويمكن أن تفسر درجة تحول الكيبوتسات المختلفة عن المشاركة المتساوية. وتتنبأ النظرية الاقتصادية بأن الكيبوتسات الأكثر ثراءً تختبر معدلات خروج أقل، وستكون قادرة على الاحتفاظ بمعظم العاملين الموهوبين، وسيختار المزيد من المساواة في المشاركة. أما الكيبوتسات الأقل ثراء، من ناحية أخرى، فستشهد معدلات خروج أعلى، وتخسر عمالاً موهوبين بأعداد أكبر، وبالتالي سوف تتحول عن المشاركة المتساوية من أجل الإبقاء على العمال الأكثر موهبة. إن حقيقة أن الأزمة المالية أصابت بعض الكيبوتسات أكثر من غيرها خلقت فروقاً في مستوى المعيشة.

أما الفصل العاشر فينظر في عواقب عدم المساواة المتزايدة في الدخل في الكيبوتس، حيث أدى هذا التحول إلى زيادة عودة أعضاء الكيبوتس إلى التعليم. تتوقع النظرية الاقتصادية أن الناس سوف يستثمرون أكثر في تعليمهم عندما يكون العائد أعلى. لاختبار هذا التنبؤ، قام الكاتب بجمع بيانات حول طلاب الكيبوتس ومدرسيهم في الثانوية ونتائج التعليم ما بعد الثانوي قبل وبعد الإصلاحات. من الواضح أن طلاب الكيبوتس أخذوا المدرسة الثانوية بجدية أكبر واستثمروا أكثر في تعليمهم حالما تحول الكيبوتس بعيداً عن المشاركة

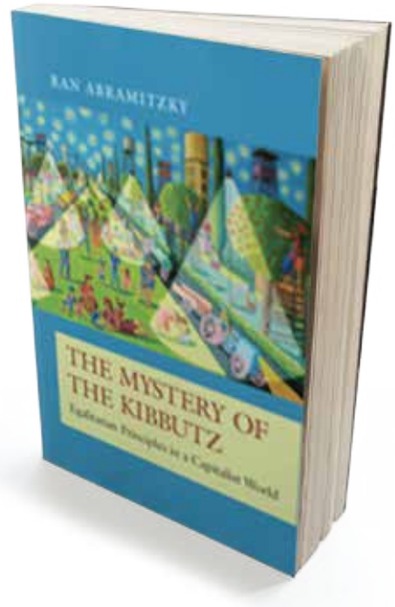

المتساوية، وخاصة الرجال وأولئك الذين كان آباؤهم أقل تعليماً. وإلى جانب تحسين التعليم، يقدم الكاتب أيضًا دليلاً تجريبيًا على أن التحول الأخير عن المشاركة المتساوية، من خلال زيادة التكلفة المالية لتربية الأطفال، قد شجع الأعضاء على امتلاك أكبر عدد ممكن من الأطفال. هناك أيضا بعض الأدلة التي تشير إلى أن التحول عن المشاركة المتساوية قد أدى إلى تحسين أخلاقيات العمل في الكيبوتسات، لكن ربما كان ذلك على حساب انخفاض السعادة.

في الفصل الحادي عشر، قارن الكاتب تجربة الكيبوتسات مع الكميونات الأخرى. وعلى غرار الكيبوتسات، صممت الكميونات في القرن التاسع عشر في الولايات المتحدة للتخفيف على مجتمعاتها من مشكلات الحوافز عن طريق تسهيل العقوبات الاجتماعية، وتعزيز الالتزام والولاء والتعاون، وإنشاء أجهزة مقفلة. ساعدت الأيديولوجية، وخاصة عندما تكون قائمة على الدين، في حل مشاكل الحوافز. ومع تراجع الأيديولوجية وتزايد الفرص الخارجية للأعضاء، تفاقمت مشاكل الحوافز واستمر استقرار المجتمعات المحلية.

يختتم الفصل الثاني عشر ويقترح، في ضوء التحليل في الكتاب، إعادة تفسير اقتصادي لصعود الكيبوتسات ونجاتها وانحدارها. تشير تجربة الكيبوتس إلى أن المساواة في الدخل لا تأتي مجانًا. ما تربحه في شبكة الأمان، تخسره في الحوافز الفردية. ولكن إذا رفعت الحوافز، فإن عدم المساواة يتبع ذلك. ومع ذلك، فحتى في ظل المشاركة المتساوية، لم تكن مشاكل الحوافز بالقدر نفسه من الخطورة التي يمكن أن يقترحها المنطق الاقتصادي. حتى في غياب العوائد النقدية، عمل الكيبوتس لساعات طويلة ولكي يحصل أعضاؤه على التعليم والمهارة، في حين أنَّ الأعضاء الموهوبين الذين يستطيعون كسب المزيد من الخارج ظلوا في الكيبوتس في كثير من الأحيان، مما سمح للكثير من الكيبوتسات بالازدهار. وحتى الكيبوتسات التي ابتعدت عن المشاركة المتساوية تواصل توفير شبكة أمان للأعضاء الضعفاء والحفاظ على المساعدة المتبادلة باعتبارها حجر الأساس في الكيبوتس. يناقش هذا الفصل والخاتمة أيضاً القضايا الأكبر من الكتاب للمؤسسات والمجتمعات التي ترغب في أن تكون أكثر دعماً وتساوياً.

في الختام، من المستحيل أن نعرف بالضبط حجم النجاح الذي حققه الكيبوتسات في الحفاظ على المساواة نابعاً من الطرق التي تمكنت من التغلب بنجاح على العديد من المشاكل، ومقدار الدعم الذي تلقوه من دولة إسرائيل. ويظهر أن جوانب تصميم المجتمع المحلي في الكيبوتسات واستجاباتها للتغيرات في بيئاتها الداخلية والخارجية كانت بالغة الأهمية لبقائها. وفي الوقت نفسه، ناقش المؤلف كيف أن الكيبوتسات كانت مدعومة بشدة بطرق مختلفة وساعدت نجاحها لسنوات عديدة. وشملت هذه الإعانات نقل الأراضي وغيرها من عوامل الإنتاج إلى الكيبوتسات، وإعانات القطاع الزراعي في شكل استثمارات مائية ورأس المال، وقطاعات استهلاك السلع الزراعية في دولة إسرائيل، وخفض المنافسة عن طريق تخصيص حصص الإنتاج، ومنع استيراد الأغذية والسلع الصناعية التي ينتجها الكيبوتسات. لم يكن هذا الأسلوب من الدعم والحمائية فريدا بالنسبة للكيبوتسات، لكنهم استمتعوا به بالتأكيد. ومع ذلك، فإن دعم الدولة ليس القصة كلها. على سبيل المثال، لا تمنع الدعم الحكومي أعضاء الكيبوتس من الهروب ولا تساعد الكيبوتس في حل الاختيار المعاكس في الدخول. وبالمثل، في حين أن حقيقة أن البيئة السياسية أصبحت أقل صداقة مع الكيبوتسات ابتداءً من منتصف السبعينيات، يمكن أن تفسر جزئياً سبب وقوع الكيبوتسات في متاعب اقتصادية، ثم بدأت بعد ذلك في التخلي عن الاشتراكية، ولا يمكنها أن تفسر سبب بقاء بعض الكيبوتسات في حالة مساواة كاملة حتى في غياب الدعم السياسي أو لماذا بقي بعض الكيبوتسات متساويا والبعض الآخر لم يفعل.

يقدم الكتاب إسهاماً مهماً للاقتصاد السلوكي فهل يمكن للمجتمعات الطوعية والمساواة أن تزدهر داخل مجتمع رأسمالي؟! يجمع هذا الكتاب بين العلوم الاجتماعية والأدوات الاقتصادية الحديثة في التحليل من خلال دراسة تجربة الكيبوتس الإسرائيلية.

الكتاب: The Mystery of the Kibbutz: Egalitarian Principles in a Capitalist World

الناشر: Princeton University Press

سنة النشر: ٢٠١٨

المؤلف: Ran Abramitzky

عدد الصفحات: ٣٦٠

اللغة: الإنجليزية.

*** كاتب عُماني**

إصدارات عالمية جديدة

آخر الإصدارات في اللغة الفرنسية (سعيد بوكرامي)

الكتاب: الميتافيزيقا الكمية: أسرار الفضاء والزمن الجديدة
المؤلف: سفين أورتولي وجان بيار فارابود
الناشر: دار لاديكوفيرت
تاريخ النشر: ٢٠١٨
عدد الصفحات: ٤٤اص

في عام ١٩٨٤ ، نشر سفين أورتولي وجان بيار فارابود ضمن منشورات لاديكوفيرت ، كتابا لقي في ذلك الوقت ترحيبا كبيرا. وتم اعتباره أفضل الكتب التي بسطت موضوع ميكانيكا الكم الصعبة وجعلتها في متناول شريحة واسعة من القراء غير المتخصصين، بيعت منه أكثر من خمسة وثمانين ألف نسخة كما ترجم إلى عدة لغات. ولكن منذ أكثر من ذلك الوقت، تغير المشهد بشكل جذري: أصبح التلاعب ومراقبة عناصر الكم الفريدة (الإلكترون، الفوتون، الأيون، الذرة، الجزيئات...)، التي كان من الصعب مراقبتها أو التعامل معها أصبحت اليوم في المتناول والتعامل معها شبه عادي. كما أصبحت الأفكار التي لا يمكن تصديقها في السابق قابلة للاختبار وقد تم إجراء تجارب مستحيلة تأكدت نتائجها، فتحددت الجوانب الأكثر إرباكًا للنظرية الكمية، مما فتح الباب أمام التطبيقات التقنية الثورية، مثل الكمبيوتر الكمي.
يبرز المؤلفان المخططات التوضيحية للميتافيزيقا الكمية، بلغة واضحة وطريفة وصارمة، لرسم معالم جديدة لهذا العالم الكوانتي الغريب الذي لولاه لما كان لدينا إنترنت وأجهزة الكمبيوتر والهواتف الخلوية ولا ... لا شيء مما يسمح بخلق مجتمع الاتصالات. عالم خارج الزمان، حيث تعرف الجسيمات كيفية النقل الفضائي، ومن المفترض أن تعود إلى الزمن.. سيجد قارئ الكتاب عالما يخترق حدوده الجديدة، النظرية والتجريبية.. عالما ميتافيزيقيا ممتعا ومذهلا.

الكتاب: فلسفة الثقة بالنفس
المؤلف: شارل بيبان
الناشر: منشورات ألاري. فرنسا
تاريخ النشر: ٢٠١٨
عدد الصفحات: ٢٢٤ ص
يكشف كتاب «شارل بيبان» (فلسفة الثقة بالنفس) سر الثقة بالنفس.
من أين تأتي الثقة بالنفس؟ كيف تعمل؟ ما الذي يقويها أو يضعفها؟ لماذا بعض الناس أكثر ثقة من الآخرين؟ هل هي مسألة مزاجية؟ أم ثمرة اشتغال على مؤهلات الذات أو طريقة للنظر إلى العالم؟ ما علاقة الثقة بالنفس بالثقة بالآخرين، والثقة بالحياة نفسها؟
يعتمد الكتاب على النصوص العظيمة للفلسفة والحكمة القديمة، وعلى أعمال التحليل النفسي وعلم النفس، واستعان أيضًا بتجربة الرياضيين أو الفنانين، يشرح تشارلز بيبين سر الثقة في النفس.

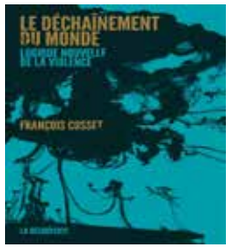

الكتاب: اندفاع العالم: منطق العنف الجديد
المؤلف: فرانسوا كوسيه
الناشر: منشورات لاديكوفيرت.فرنسا
تاريخ النشر: ٢٠١٨
عدد الصفحات: ٢٤٠ص

يصف كتاب «اندفاع العالم: منطق العنف الجديد» للكاتب الفرنسي فرانسوا كوسيه كيف يعيش العالم حالة اندفاع وغليان. بحيث أن نسبة العنف لم تتراجع، كما يعتقد بعض الناس. لقد غيّر شكله، ومنطقه، وأصبح أقل وضوحا، وأكثر ثباتا: انتقلنا من عصور العبودية إلى الهيمنة، ومن الترحيل إلى الترحال القسري، ومن العنف بين طلاب الجامعات إلى إذلالهم على الشبكات الاجتماعية، ومن النهب في المستعمرات إلى القوانين التي تصادر أفقر الناس.. لقد تفاقم القمع والدمار البيئي.
وبدلاً من التوقف، تفاقم العنف من جهة، ومن جهة أخرى، قلت فرص السلام. أصبح الأشخاص غير مبالين بمظاهر العنف الجماعي. في خضم كارثة الليبرالية الجديدة ، جعلتنا كذبة الوفرة وتحفيز قواتنا الحياتية مجرد وحوش حديثة، من المحبطين والمندفعين بجرأة، وليس من المواطنين الملائمين لإنشاء «الحضارة» وتشكيلها. للخروج من هذه الدائرة الجهنمية، ومن العجز الجماعي، يقترح المؤلف حركة تحرر جديدة من الطاقة الاجتماعية المشكلة من المنظمات والحركات الاجتماعية، لكنه في الوقت نفسه يحذر من البعض الآخر الذين حولوها إلى هوية للكراهية والوطنية المتطرفة. من سيفوز في هذا الصراع؟ من سيجنب العالم كل هذا العنف المندفع من كل صوب؟ يحاول الكتاب تقديم العديد من الأجوبة.

الكتاب: إفريقيا الحدود الجديدة للإرهاب
المؤلف: مارك انطوان بيروز دي مونتكلو
الناشر: دار لاديكوفيرت، فرنسا.
تاريخ النشر: ٢٠١٨
عدد الصفحات: ص ١٦٠

يعود كتاب «إفريقيا الحدود الجديدة للإرهاب» للكاتب الفرنسي مارك انطوان بيروز دي مونتكلو إلى عشرين عاما إلى الوراء وتحديدا مع الأحداث التي وقعت في عام ١٩٩٨ ونفذها تنظيم القاعدة ضد سفارتي الولايات المتحدة في كينيا وتنزانيا، وما تلا ذلك من نمو للحركات الإسلامية الراديكالية، خاصة في منطقة الساحل، وترسخت مع بوكو حرام في نيجيريا، وشباب الصومال، والقاعدة في بلاد المغرب الإسلامي وفي مالي.. هذه الأحداث الدموية التي قلبت أوضاع السكان المحليين واستنفرت عددا من الدول الغربية.
يقدم الكتاب حججا دامغة ويرسم مشهدا واضح المعالم عن الحركات المسلحة التي تسمى نفسها بـ «الجهاديين»، مذكرا أصولهم والتاريخية والاجتماعية، التي تمتد بعيدا في تربة «إرهابية دولية» وحشية، التي تغلغلت ديناميتها في البداية في جذورها المحلية.
بدلا من النظر إلى «الجهاد الإفريقي» كسديم غامض وبعيد المنال يقدم مارك انطوان بيروز دي مونتكلو تحليلا مبتكرا عن هذه الجماعات المسلحة فهو لا يعتمد فقط على الجوانب الدينية، ولكن أيضا على الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. وقد عزز كتابه بمجموعة من المقابلات الحصرية مع زعماء جهاديين ومقاتلين وقادة الأجهزة الأمنية. يسلط الكتاب الضوء أيضا على الآثار الوخيمة للتدخل العسكري الأجنبي و«التهديد الإرهابي» على منطقة الساحل.

آخر الإصدارات في اللغة الإيطالية (عز الدين عناية):

لاهوت التحرير الإسلامي
يحاول دارس الإسلاميات الإيطالي ماسيمو كامبانيني في هذا الكتاب تناول طروحات المفكر المصري حسن حنفي بشأن التغيير الاجتماعي من خلال بعض المنتقيات من مؤلفاته. حيث يختبر وعود تفسيرات حنفي للمتن القرآني وإمكانياتها في ظل هيمنة تقليد سائد، معرّجا في ذلك على علاقة القراءة الأنثروبولوجية بمضامين الدين، وليختتم كامبانيني تأملاته في المقول الحنفي بحديث عن إيديولوجيات الثورة والتغيير

إصدارات عالمية جديدة

والالتزام العضوي.
الكتاب: لاهوت التحرير الإسلامي.
تأليف: حسن حنفي وماسيمو كامبانيني.
الناشر: جاكا بوك (ميلانو–روما) «باللغة الإيطالية».
سنة النشر: ٢٠١٨.
عدد الصفحات: ١١٢ ص.

***

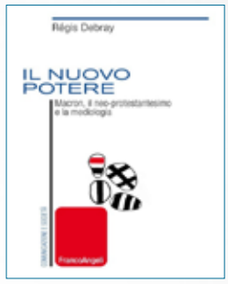

السلطة الجديدة
ماكرون والبروتستانتية الجديدة والميديولوجيا
في هذا المؤلف يتساءل فيلسوف الميديولوجيا ريجيس دوبريه عن مدى حظوظ نجاح الطروحات التجديدية للرئيس الفرنسي الحالي إيمانويل ماكرون، المستلهَمة من نموذج ثقافي يطغى عليه الطابع البروتستانتي والعائد بدوره إلى الأخلاق البروتستانتية، التي تربط مسؤولية خلاص الروح بعمل المؤمن.
الكتاب: السلطة الجديدة.. الرئيس ماكرون والبروتستانتية الجديدة والميديولوجيا.
تأليف: ريجيس دوبريه.
الناشر: فرانكو أنجيلي (ميلانو–روما) «باللغة الإيطالية».
سنة النشر: ٢٠١٨.
عدد الصفحات: ٩٢ ص.

آخر الإصدارات في اللغة العبرية
(أميرة سامي)

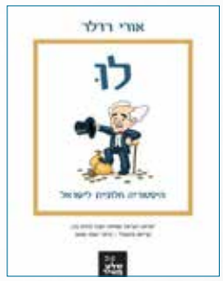

اسم الكتاب: لو تغير تاريخ إسرائيل
المؤلف : اوري ريدلر
الناشر : سيلا مائير للنشر، اللغة: العبرية
سنة النشر: أبريل ٢٠١٨
عدد الصفحات: ٣٣٠ صفحة
نبذة مختصرة عن الكتاب:
يدور كتاب «لو» حول إسرائيل، وكيف كانت ستبدو لو لم يتم اغتيال رابين؟ وأي نوع من الصفات كانت ستتحلى بها لو تخلى ديفيد بن غوريون عن مقعده بعد فترة رئاسة واحدة؟ لقد خسر حزب ماباي وبن غوريون أول انتخابات لهم، وتقاعد مناحيم بيغن في الخمسينات من القرن الماضي، وتأسست دولة فلسطينية عام ١٩٦٨، وامتلك بنيامين نتنياهو إحدى شركات الأثاث الكبرى في العالم، وشغل أحمد الطيبي منصب وزير الداخلية، وأصبح عرفات شريكا في ناد ليلي في نيويورك، يتتبع كتاب أورى ريدلر هذه الأحداث، ويقدم تطورا لإسرائيل في ظل النظام الرأسمالي الليبرالي، متتبعا خمس شخصيات عامة في التاريخ الماضي ويشرح كيف سيبدو كل شيء اليوم إذا كانت الأمور ستحدث بطريقة مختلفة قليلاً.

اسم الكتاب: اليهودية في مفترق طرق
المؤلف : ماكس جوزيف
الناشر : دار نشر جامعة بار ايلان
سنة النشر: أبريل ٢٠١٨
عدد الصفحات: ١٥٢ صفحة
نبذة مختصرة عن الكتاب:
نشر كتاب «اليهود في مفترق الطرق» لأول مرة في ألمانيا في عام ١٩٠٨، ومؤلف الكتاب هو الحاخام ماكس مردخاي يوسف (١٨٦٨–١٩٥٠) ، كان عضوا بارزا في معسكر اليهودية الليبرالية ، وفي الوقت نفسه ناشط صهيوني متحمس. اليهودية في مفترق طرق «هو دفاع عن الفكرة الصهيونية، التي تستخدم الحجج الدينية للمؤلف مع الميول الاستيعابية لأحزابه من الحاخامات الألمان في المعسكر غير الأرثوذكسي، من أجل معالجة أزمة الوجودية اليهودية في العصر الحديث، ومن أجل التغلب على المشاكل التي يطرحها التنوير، ومع تجنب العودة إلى التلمود والغيتو، يجب أن تتشكل الصهيونية السياسية من خلال المثالية الأخلاقية والدينية.

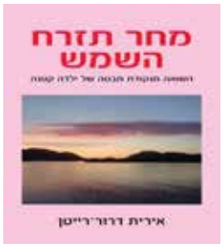

اسم الكتاب: غدا ستشرق الشمس
المؤلف: أريت درور ريتان
الناشر: كينيريت زمورا
سنة النشر: أبريل ٢٠١٨
عدد الصفحات: ١٢٨ صفحة
نبذة مختصرة عن الكتاب:
غدًا ستشرق الشمس ليس كتابًا تقليديًا عن الهولوكوست، حيث لا يصف أهوال الحرب العالمية الثانية، خاصة ضد اليهود، وبدلا من ذلك، يحكي المؤلف قصة حياته كطفل في ذلك الوقت.

اسم الكتاب: الموسيقى العنيفة والموسيقى في عيون الأدب
المؤلف: نفتالي واجنر
الناشر: دار نشر ماغنيس
سنة النشر: أبريل ٢٠١٨
نبذة مختصرة عن الكتاب:
يذهب نفتالي واجنر في رحلة موسيقية رائعة في الأدب، ويقرأ أوصاف الموسيقى في عشرات القصص والروايات في أعين الموسيقار والمعلق الثقافي ويتوصل إلى أفكار مدهشة ومثيرة.

اسم الكتاب: شيمون بوفزينر ، مهندس معماري
المؤلف: زيفي الحاياني ومايكل جاكوبسون
الناشر: دفير
سنة النشر: أبريل ٢٠١٨
نبذة مختصرة عن الكتاب
يوجز هذا الكتاب عمل بوزنر بأكمله ويتبع أعماله المعمارية التي ظلت على الورق فترة من الزمن، وقد عمل شيمون بوفزينر كمهندس معماري ومخطط في شركة شارون – ايدلسون، وعبر سنوات مع شريكه أبراهام ياسكي وقام خلالها سنوات حياته المهنية المستقلة، بتصميم عشرات المباني وفي جميع أنحاء البلاد في فترة عمله مع ابنه جدعون بوفزينر.

آخر الإصدارات في اللغة البولندية
(يوسف شحادة):

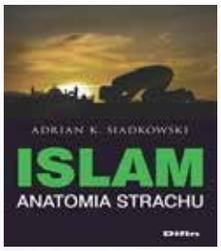

عنوان الكتاب: الإسلام – تشريح الخوف
المؤلف: أدريان شيادكوفسكي
البلد: بولندا
دار النشر: ديفين DIFIN
السنة: ٢٠١٨
عدد الصفحات: ١٧٦.
ملخص عن الكتاب: يتناول المؤلف مسألة الصراع الثقافي الحضاري بين الغرب والمسلمين من خلال تحليل أسس الإسلام ومقومات الثقافة العربية الإسلامية. ويعالج أزمة الهجرة في أوروبا، والصدام الثقافي الذي يتجلى في أمور عديدة، منها وضع الجنسين، ومشكلات الاندماج، وتزايد تطرف المهاجرين المسلمين، وعلاقاتهم بالأوروبيين، والبولنديين منهم على الأخص.

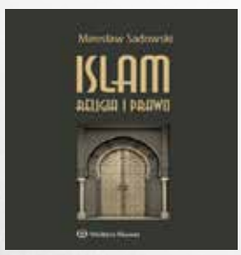

إصدارات عالمية جديدة

عنوان الكتاب: الإسلام – دين وقانون
المؤلف: ميروسواف سادوفسكي
البلد: بولندا
دار النشر: Wolters Kluwer
السنة: ٢٠١٧
عدد الصفحات: ٣١١.
ملخص عن الكتاب: يقدم المؤلف لمحة تاريخية عن الإسلام ومبادئه، ويحاول الإجابة عن السؤال الأهم للأوروبيين، وهو هل يمكن لهذا الدين وخاصة أتباعه، أن يتكيف مع قيم حضارة الغرب ومتطلباتها الاجتماعية والثقافية. وثمة أسئلة أخرى يطرحها تدور حول ترابط الدين والشريعة كقانون لا ينفصل عن الإسلام.

آخر الإصدارات في اللغة الإنجليزية (محمد الشيخ):

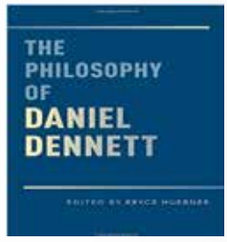

المؤلف: تأليف جماعي تحت إشراف بريس هيبنر
عنوان الكتاب: فلسفة دانييل دينيت
ملخص الكتاب:
هذا كتاب يعرف بجهد فيلسوف أمريكي (١٩٤٢) امتد على مدار ما ينيف عن نصف قرن ودار على موضوعات: طبيعة الذهن، طبيعة الوعي، إمكان الحرية، دلالة التطور بالنسبة إلى العلوم البيولوجية والاجتماعية. وقد التأم شمل العديد من المهتمين بفلسفته ومن طلبته وخريجي يديه للبحث في هذه المناحي وفي رؤيته للعالم. وقد تفرقوا إلى من يوضح جانبا من فكره، ومن يستدل على صحته بجديد المختبرات، ومن يطبق أفكاره على مجالات معرفية جديدة. وبالجملة، يقدم الكتاب نظرة إجمالية وصفية ونقدية واستشرافية معا على جهد هذا الفيلسوف الذي يكاد يكون مجهولا في عالمنا العربي.
دار النشر وسنته ومكانه: مطابع أكسفورد الجامعية، ٢٠١٨، إنجلترا.

المؤلف: صمويل حاييم برودي
عنوان الكتاب: اللاهوت السياسي عند مارتن بوبر
ملخص الكتاب:
قليلة هي الكتاب التي تتناول فكر المفكر الألماني اليهودي مارتن بوبر (١٨٧٨–١٩٦٥) الذي يعد كتابه «أنا وأنت» (١٩٢٣) أحد أعمق الكتب التي صدرت في فلسفة الغيرية. مدار الكتاب على كيف فكر هذا الفيلسوف اليهودي الألماني المهاجر إلى إسرائيل في مسألة تأسيس إسرائيل والصراع الإسرائيلي الفلسطيني. يرسم المؤلف صورة عن تطور فكر الرجل السياسي وتأثيره على الفكر اليهودي المعاصر: ما هي الإشكالات التي تطرحها الصهيونية؟ كيف يمكن حل الصراع الصهيوني العربي؟ ويستقصي المؤلف عن بداية فكر الرجل بألمانيا ويتتبع تطوره الفكري وكيف أنه طرح سؤال اللاهوت السياسي: ما هي معاني التوراة وما تأثيرها في فهم المواقف السياسية للفوضويين والاشتراكيين والصهاينة والنازيين والفلسطينيين سواء بسواء؟ وكيف أثرت أطروحة غياب الرب على الرسالة اليهودية؟
دار النشر وسنته ومكانه: Indiana University Press، ٢٠١٨، إنديانا (الولايات المتحدة الأمريكية)

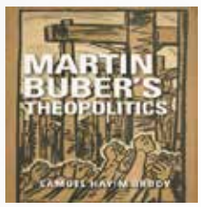

مؤلف الكتاب: جيوسيبي بالاتشي
ملخص الكتاب: يفحص هذا الكتاب دلالة الخطابة من وجهة نظر الفلسفة. ويستقصي الصلة المتوترة أطوارا والمتكاملة طورا آخر بين الفلسفة من حيث ميلها إلى التعالي والخطابة من حيث نزوعها نحو العرضية، وذلك عند القدماء: أفلاطون، أرسطو، شيشرون ... ومحاولتهم الجمع بين الإثنين في نزعة إنسية جامعة. كما يفحص في القسم الثاني من الكتاب ما حدث في القرن العشرين والجدل حول الخطابة والفلسفة عند المؤلفين المعاصرين: حنة أرندت وليو شتراوس وريتشارد رورتي. ومما يؤسف له أنه لا يقف عند إسهام فلاسفة العرب القدامى في هذا الموضوع الذي أفردوه بمؤلفات عدة.
دار النشر وسنته ومكانه: Palgrave Macmillan، ٢٠١٨، نيويورك.

حاليًا في الأسواق.. مجلة التفاهم

ما بعد الاضطراب الديني : المراجعات والآفاق

افتتاحية العدد : السكينة بعد الاضطراب : المراجعات والآفاق . عبد الرحمن السالمي

المحاور

- القرآن الكريم ومشاهد الأمن بعد الخوف في حياة الإنسان - محمد المنتار.
- القرآن الكريم والتاريخ الإنساني : مناهج المراجعة وسنن الاستبدال - محمد الناصري
- ما بعد الاضطراب الديني: سلامة الدين وسلامة العالم- رضوان السيد.
- كيف تحدث الانشقاقات في الأديان - إنزو باتشي.
- الإصلاح الديني البروتستانتي..وطأة خمسمائة عام - جان بول ويام.
- الإصلاح الديني في بعض أعمال المفكرين والفلاسفة المعاصرين: تجربة رودولف بولتمان ومشروع نزع الأسطرة- فوزي البدوي.
- الإصلاح الديني في أعمال المعاصرين- محمد الحداد.
- بول كيندي: في قيام الإمبراطوريات وانهيارها - محمد الشيخ.
- سبل الخروج من مرحلة الاضطراب العربي : الأبعاد الداخلية-علي الدين هلال.

دراسات

- الجاحظ وأصحاب المعارف: ملاحظات حول المعرفة عند الجاحظ - مهري سعيدان.
- الفكر الاعتزالي في الغرب الإسلامي في القرنين السابع والثامن : دراسة في الاستقبال النقدي لكتاب (الكشاف) للزمخشري.

وجهات نظر

- المعرفة اللغوية في نظرية طاشكبري زاده التصنيفية (التداخل والتكامل) - فيصل الحفيان.
- الدراسات اللغوية والبلاغية المعاصرة وأثرها في تحقيق الاجتهاد - زكريا السرتي.
- تقنية وصف المخطوطات « كتاب يحيى بن عدي في الرد على الوراق» نموذجا - نادين عباس.

آفاق

- آفاق المواطنة في الفكر الإسلامي المعاصر - رضوان السيد.
- الحرية في الإسلام ومقاصد الشريعة- عبدالرحمن السالمي.
- «مفهوم الخبرة» بين الأسطورة والدين - أمل مبروك عبدالحليم.

مدن وثقافات

- الأبجدية في العصور القديمة : عصام السعيد.

الإسلام والعالم

- إعادة تخيل الأمة (بيتر مانرافيل).

النصوص المنشورة تعبر عن وجهات نظر كتابها ولا تعكس بالضرورة رأي مجلة التفاهم أو الجهة التي تصدر عنها.
مجلة التفاهم هاتف : ٢٤٦٤٤٠٣١ - ٢٤٦٤٤٠٣٢ ٩٦٨+ ، فاكس : ٢٤٦٠٥٧٩٩ ٩٦٨+
البريد الإلكتروني : tasamoh@gmail.com - al.tafahoom@gmail.com - www.altafahom.net